فى أدب العصر الأموى

دكتـــورة

نادية أحمد مسعد

أســـتاذ الأدب والنقـــد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعـــة الأزهـــر - فرع البنات بالقاهرة

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

البيئة الأموية

الأدب فن من الفنون الجميلة الرفيعة التى أنعم الله بها على الإنسان ليكون وسيلة راقية تعبر عن ذاته وعن مجتمعه تعبيرًا صادقًا دقيقًا تدفعه إلى السمو حيث يكشف الأدب عن القضايا التى يعانى منها المجتمع ويرسم من خلال نصوصه الصورة المثلى التى يتطلع إليها أبناء المجتمع ويعتمد المنشىء فى هذا على الخيال والتصوير والباحث فى تاريخ الأدب العربى يبدأ رحلته التسجلية منذ العصر الجاهلى وهو العصر الذى سبق البعثة النبوية الشريفة بقرن ونصف وفيه تكاملت للغة العربية خصائصها من البيان الأدبى والسحر البلاغى والدقة التعبيرية والخصوبة الخيالية والصدق الفنى وقد ذكر الجاحظ فى كتابه الحيوان (أما الشعر العربى فحديث الميلاد صغير أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه أمرو القيس بن حجر ...) وينبغى على دارس الأدب الأموى الإلمام بسياق الأدب الجاهلى والإسلامى حتى يدرك المتلقى الخصائص الفنية للأدب الأموى وأثر البيئة فى مضامين الشعر والنثر وفى الصياغة التعبيرية .

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخين الذين أرخو للأدب العربى قسموا العصور الأدبية إلى :

- عصر الجاهلية أو ما قبل الإسلام .
- العصر الإسلامى منذ ظهور الإسلام إلى سقوط الدولة الإموية ومن المؤرخين من قسمة إلى عصرين عصر الخلفاء الراشدين ويسمى عصر صدر الإسلام ويليه العصر الأموى .
- العصر العباسى ويستمر حتى سقوط بغداد فى يد التتار سنة ٦٥٦هـ.

- عصر الدول والأمارات .
- العصر الحديث .

أما العصر الجاهلى فقد تنوعت فنونه الأدبية وتعددت اتجاهاته الفنية واكتملت خصائصه اللغوية ونظم الشعراء فى المجالات التى تعد استجابة طبيعية لظروف البيئة ويتميز الأدب الجاهلى بالصدق الفنى والجمال التعبيرى والإبداع الأدبى الذى تجلى عبر الالتزام بالصياغة القوية الجزلة وبالقواعد الموسيقية الإيقاعية التى تبرز من الأصول الفنية للأوزان والقوافى والمتلقى لنصوص العصر الجاهلى يجد ارتباط الشكل بالمضمون ارتباطا وثيقًا والشكل يتركب من الألفاظ التى تكون الصورة وهى بدورها تتسم بمؤثرات صوتية تعمل على توصيل المراد للمتذوق وقد أدرك الأدباء العلاقة الوثيقة بين المحاكاة الصوتية الأسلوبية وبين المعنى العام للنصوص الجاهلية منها :

١- محاكاة عن طريق تكرار عدة أصوات تنتمى إلى مجموعة صوتية واحدة فى عدة أبيات أو فى قصيدة كاملة .

٢ - المحاكاة عن طريق تكرار إحدى الحركات .

٣ - المحاكاة عن طريق تكرار صوت واحد أو أصوات متقاربة .

٤ - محاكاة الجو العام للحدث أو المقصود بواسطة تكرار عدة أصوات أو مجموعات صوتية مختلفة .

وقد ظل للأدب الجاهلى جماله وتنوعه الموضوعى حتى أشرق الإسلام بنور تعاليمه وصفاء أركانه فصحح المفاهيم وبين أن القيمة الحقيقة فى دقة السلوك ونبل الفكر وسمو المشاعر مما ساعد على تجديد المعانى مع المحافظة على قواعد اللغة وسلامتها وعذوبتها وسحر صياغتها حيث وقف

فصحاء العرب على جلال التعبير القرآنى وتفرده وبلاغة الأسلوب النبوى مما دفع بالتالى إلى استمرار السلامة التعبيرية وجودتها وعمق المعانى وشرفها وقد احتفظ أدب صدر الإسلام بالمنهج الأدبى الرفيع الذى استمد تميزه من البيان القرآنى الكريم والنبوى الشريف ويستطيع الدارس الكريم أن يتبين أثر التعبير القرآنى والنبوى من المعايشة الإيمانية الآتية :

أولا : من القرآن الكريم :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ .

التعريف بالسورة الكريمة :

اختلف فيها فقال البعض أنها مكية بل من أوائل ما نزل من القرآن الكريم وهو المروى عن على وابن عباس وقتادة وأكثر الصحابة وعن مجاهد أنها مدنية وقيل نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة لما حولت القبلة ليعلم أنها فى الصلاة كما كانت وقيل بعضها مكى وبعضها مدنى وقد لهج الناس بالاستدلال على مكيتها بآية الحجر ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ﴾ وقد فسر العلماء السبع المثانى بالفاتحة وقيل السبع الطول .

والفاتحة فى الأصل صفة جعلت اسما لأول الشىء لكونه واسطة فى فتح الكل .

ولهذه السورة الكريمة أسماء منها فاتحة الكتاب لأنها مبدؤه على الترتيب المعهود لا لأنها يفتتح بها فى التعليم وفى القراءة فى الصلاة ومنها أم الكتاب وأم القرآن والكنز والوافية والكافية لما مر عن اشتمالها على الجواهر

المكنون فتفى وتكفى أو لأنها لا تنصف فى الصلاة ولايكفى فيها غيرها ومنها سورة الحمد وسورة الشكر وسورة الدعاء وسورة تعليم المسألة وسورة السؤال لاشتمالها على ذلك أما اشتمالها على الحمد فظاهر وكذا على الشكر لدى من أنعم الله تعالى عليه بالفهم ومنها سورة المناجاة وسورة التفويض لأن العبد يناجى ربه بقوله إياك نعبد وإياك نستعين الرقية والشفاء والشافية وسورة الصلاة لأنها واجبة أو فريضة فيها ومنها النور لظهورها بكثرة أو لتنوير القلوب لجلالة قدرها أو لأنها لما اشتملت عليه من المعانى عبارة عن النور بمعنى القرآن .

أما البسملة فقد أختلف أراء العلماء فيها هل هى من خواص هذه الأمة أم لا فنقل العلامة أبو بكر التونسى إجماع علماء كل ملة على أن الله تعالى أفتتح كل كتاب بها وقيل إنها من الخصوصيات لما روى عن النبى ﷺ كان يكتب باسمك اللهم إلى أن نزل بسم الله مجراها فأمر بكتابة بسم الله حتى نزل ﴿ قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن ﴾ فأمر بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم إلى أن نزلت آية النمل فأمر بكتابة ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ كما أختلف العلماء فى البسملة فذكروا عدة أقوال أنها ليست آية من السور أصلاً وقيل أنها آية من جميعها غير براءة وقيل أنها آية من الفاتحة دون غيرها وقيل أنها بعض آية فقط وقيل أنها آية أنزلت لبيان رؤس السور تيمنا للفصل بينها .

من أنوار الصياغة القرآنية لسورة الفاتحة :

تأمل المفسرون أسرار سورة الفاتحة فذكروا أن قوله تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ يدل على كون هذا القائل مقرا بان إله العالم ليس موجبا بالذات بل هو فاعل مختار وأيضا فقوله الحمد لله أولى من قوله الشكر لله فهو ثناء بسبب إنعام وصل إلى ذلك القائل ولاشك أن الأول أفضل لأن التقدير كأن العبد

يقول سواء أعطيني أو لم تعطني فإنعامك واصل إلى كل العالمين وأنت مستحق للحمد العظيم وقيل الحمد على ما دفع الله من البلاء والشكر على ما أعطى من النعماء .

ومن الجدير بالذكر أنه تعالى لم يقل أحمد الله ولكنه سبحانه قال : ﴿ الحمد لله ﴾ وهذه العبارة الثانية تدل بجلالها أنه لو قال أحمد الله أفاد ذلك كون ذلك القائل قادرًا على حمده أما قول ﴿ الحمد لله ﴾ فقد أفاد أنه كان محمودًا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين فهؤلاء سواء حمدوا أو لم يحمدوا وسواء شكروا أو لم يشكروا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم كما أن قولنا الحمد لله معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد .

وقد بين علماء التفسير الفرق بين الحمد والمدح والشكر فذكروا أن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي فالمدح أعم من الحمد كما أن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده أما الحمد فإنه لايكون إلا بعد الإحسان والحمد مأمور به مطلقا قال رسول الله ﷺ من لم يحمد الناس لم يحمد الله أما الفرق بين الحمد وبين الشكر فهو أن الحمد يعم إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك وأما الشكر فهو مختص بالإنعام الواصل إليك .

كما ذكر العلماء أن عبارة ﴿ الحمد لله ﴾ ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قال هذه الثمانية عن صفاء استحق ثمانية أبواب الجنة . كما أن كلمة الحمد ذكرها آدم عليه السلام وآخر كلمة يذكرها أهل الجنة قولنا ﴿ الحمد لله ﴾ .

أما أنوار قول الحق ﴿ رب العالمين ﴾ فتنبع من أن الله تعالى إله العالمين من حيث إنه هو الذى أخرجها من العدم إلى الوجود وهو رب

العالمين من حيث إنه هو الذى يبقيها حال دوامهـا واسـتقرارها كمـا أن وجـوه تربية الله لعباده كثيرة وغير متناهية فقد خلقهم مـن نطفـة وهداهـم فـى جميـع مراحل حياتهم . فالحق هو رب العالمين له سلطان على جميع مخلوقاته وهـو الرحمـن الرحيم والرحمـن المنعم بمـا لا يتصـور صـدور جنسـه مـن العبـاد والرحيم هو المنعم بما يتصور جنسه من العباد .

أما قوله تعالى مالك يوم الدين فالمقصود مالك يوم البعث والجزاء وأنـه لابد من الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصى والموافق والمخـالف فقد خلق الله العباد وهداهم إلى الصراط المستقيم فمن المنطق أن يحصـد كـل عامل ثمرة عمله أمام خالق الكون فى يوم لا ينفع مال ولا بنون .

وقد بين المفسرون أن قوله تعالى إيـاك نعبـد وإيـاك نسـتعين تـدل علـى إخلاص العبادة لله فالعبادة عبـارة عـن نهايـة التعظيـم وهـى لا تليـق إلا بمـن صدر عنه غاية الإنعام وأعظم وجوه الإنعام الحياة كمـا أن قولـه تعـالى إيـاك نعبد تفيد الحصر والتعين وذلك لأنه تعالى سمى نفسـه ههنـا بخمسـة : أسـماء الله ، والرب ، والرحمن ، والرحيم ، ومالك يوم الدين .

والقارىء لمعنى ﴿ إياك نعبد ﴾ يدرك أن الاشتغال بالعبادة انتقـال مـن عالم الغرور إلى عالم السرور ومن الاشتغال بالخلق إلى حضرة الحـق وذلـك يوجـب كمـال اللـذة والبهجـة وذكـر أن العبـادة لهـا ثـلاث درجـات : الدرجـة الأولى: أن يعبد الله طمعا فى الثواب أو هربا من العقاب وهـذا هـو بالمسـمى بالعبادة وهذه الدرجة نازلة ساقطة جدا لأن معبودة فى الحقيقة هو ذلك الثواب والدرجة الثانيـة : أن يعبـد اللـه لأجـل أن يتشـرف بعبادتـه أو يتشـرف بقبـول تكاليفه وهذه الدرجة أعلى من الأولى أما الدرجة الثالثة أن يعبد الله لكونه إلها وخالقًا ولكونـه عبدًا لـه والآلهيـة توجـب الهيبـة والعـزة والعبوديـة توجـب

الخضوع والذلة وهذا أعلى المقامات وأشرف الدرجات والعبادة والعبودية مقام شريف والدليل على ذلك قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ أننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى ﴾ أمره بعد التوحيد بالعبودية لأن التوحيد أصل والعبودية فرع والتوحيد شجرة والعبودية ثمرة كما أن المقامات محصورة فى مقامين معرفة الربوبية ومعرفة العبودية .

وقد ذكرت بعض كتب التفسير أن القول ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كلمة مذكورة على لفظ الغيبة وقوله إياك نعبد وإياك نستعين انتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب وله نوره الربانى فالمصلى كان أجنبيا عند الشروع فى الصلاة فلا جرم أثنى على الله بألفاظ المغايبة إلى قوله مالك يوم الدين ثم إنه تعالى يقول له حمدتنى واقررت بكونى إلها ربا رحمانا رحيما مالك ليوم الدين فنعم العبد أنت قد رفعنا الحجاب وأبدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة إياك نعبد .

ويتحرك نور السورة الكريمة لبيان قوله سبحانه إياك نستعين والمراد أى لا استعين بغيرك وذلك لأن ذلك الغير لا يمكنه إعانتى إلا إذا اعنته على تلك الإعانة فإذا كانت إعانة الغير لا تتم إلا بإعانتك فلتنقطع هذه الواسطة ولنقتصر على إعانتك وأما قوله سبحانه ﴿ اهدنا الصرط المستقيم ﴾ فالمراد من الصراط طريق الأوائل فى تحمل المشاق العظيمة لأجل مرضاة الله وقيل الصراط الإسلام والقرآن وأهدنا أى ثبتنا على الهداية التى وهبتها منًا وهو دعاء كريم يتشرف به العبد وقد اجتهد المفسرون فى تفسير قول الحق الذين أنعمت عليهم والنعمة تنقسم ثلاثة أقسام نعمة تفرد الله بإيجادها حيث خلق ورزق وثانيهما نعمة وصلت من جهة غير الله ظاهر الأمر وفى الحقيقة فهى

أيضًا إنما وصلت من اللــه تعـالى وذلـك لأنـه تعـالى هـو الخـالق لتلـك النعمـة وثالثها نعم من الله إلينا بسبب طاعتنا وهى أيضًا من الله تعالى كمـا أن قولـه تعالى أنعمت عليهم يتناول كل من كان عليه نعمة وهـذه النعمـة إمـا أن يكـون المراد منها نعمة الدنيـا أو نعمـة الديـن والأرجـح نعمـة الديـن ونعمـة الإيمـان بالإسلام أما قول الحق تبارك وتعـالى المغضـوب عليهـم فـالمراد بهـم اليهـود والضالين هم النصـارى وقيل المغضوب عليهم الكفار والضـالون هم المنـافقون وبعد أن عشنا فى رحاب أنوار كلمات سورة الفاتحة يتبين المسـلم الكريـم أثـر الصياغة التعبيرية الشريفة للقرآن الكريم على الأساليب الأدبية العربيـة حيث عكست الكلمات الكريمـة الأسـلوب الرفيـع والتناسـق بيـن الشـكل والمضمـون وعمق الإيحاء ووضـوح الدلالات التى تهدى للمراد وتحدد الحقوق والواجبـات والأسرار النورانية التى تجعل القارىء ينبض بنشـوة الإيمـان وجمـال الرضـا وبركة الاطمئنان فقد روى عن النبى ﷺ أن ابراهيم الخليل عليه السـلام سـأل ربه وقال يا رب ما جزاء من حمدك فقال الحمد للـه فقـال تعـالى الحمـد اللـه فاتحة الشكر وخاتمته وقيل لما كانت هذه الكلمة فاتحة الشكر جعلها الله فاتحة كلامه ولما كانت خاتمته جعلها الله كلام أهل الجنة فقال ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ كما ثبت أن أول كلمات الله قوله الحمـد للـه وآخـر أنبياء الله محمد رسول الله وبين الأول والآخر مناسبة فالحمد لله أول آية من كتاب محمد رسوله ولما كان كذلك وضع لمحمد ﷺ مـن كلمـة الحمـد اسمان أحمد ومحمد وعند هذا قال عليـه السـلام أنـا فـى السـماء أحمـد وفـى الأرض محمد فأهل السماء فى تحميد الله ورسوله أحمدهم والله تعالى فى تحميد أهـل الأرض كما قال تعالى ﴿ فأولئك كان سعيهم مشـكورا ﴾ كمـا يقـف القـارىء الكريم مـن الصياغـة الشـريفة الراقيـة أن سـورة الفاتحـة جمعـت بيـن صفـات الربوبية وبين صفات العبد أما صفات الربوبية فتتمثل فى :

الله والرب والرحمن والرحيم والمالك وأما صفات العبد فهى العبودية والاستعانة وطلب الهداية وطلب الاستقامة وطلب النعمة فكأنه قيل إياك نعبد لأنك أنت الله وإياك نستعين لأنك أنت الرب وأهدنا الصراط المستقيم لأنك أنت الرحمن وأفض علينا سجال نعمك وكرمك لأنك مالك يوم الدين .

ومما سبق يدرك القارىء أن البيان القرآنى كون البناء الصحيح الشريف للصياغة الأدبية العالية ووضع الأسس المثمرة لجودة الأساليب العربية فتعلم منه العلماء كيف يسجلون أفكارًا تسجيلاً منطقيًا كما تعلم الأدباء القيم التعبيرية النبيلة التى تدل على سمو المعانى وجمال الصور وسحرها وادركوا أن خلود الكلمات تتبع من دقة الربط ووضوح المغزى وجلاء المعنى لقد كان القرآن الكريم النور المبين وسيظل إلى يوم القيامة أصل الهدى للباحث والدارس والمتعلم والعابد .

وثمرة المطاف أن البيان القرآنى منبع الإعجاز التعبيرى الذى تحدى العرب فى فصاحة الكلمة وبلاغة العبارة وسلامة الدلالات ووضوحها .

ثانيًا : الحديث الشريف :

تمثل أحاديث الرسول ﷺ المنبع الثانى للبلاغة التعبيرية والفصاحة البيانية وحتى يقف القارئ على درجة القيمة الأدبية لها يجب عرض بعض كلماته ﷺ ليتبين أسرار فصاحتها وبلاغتها وما لها من تأثير على كتابة الكتاب قال رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ... أوصيكم عباد الله بتقوى الله ...

أما بعد ... اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعده عامى هذا ... أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام .

أيهــا الناس : أن لنســائكم عليكم حقًا ولكم عليــهن حــق فلكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بتوتكم إلا بإذنكم .

أيهــا الناس : إنمـا المؤمنـون أخوة ولا يحل لامـرئ مسلم مـال أخيه إلا على طيب نفس ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعـدى كفـارًا يضـرب بعضكم رقاب بعض أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم ...

عنـد نستمتـع بأرواحنـا ووجـداننا بـأحـاديث المصـطفى ﷺ يتبـادر إلى أذهاننا قوله عز وجل ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقوله عز وجل من قائل وما ينطق عن الهوى ويترتب على تلك المفاهيم والأوصاف القرآنية إننـا نحن البشر ازاء مخلوق من مخلوقات اللــه أفرده عز وجل بصفـات معنويـة سامية فطهره ومنحه نورانية وشفافية وجعله منارًا يهدى الضــالين وينـير لهـم ظلمات الطريق المعنويـة والماديـة ولذلـك اصطفاه اللـه تعـالى لتبليـغ رسـالته السماوية القائمة على التوحيد إلى جانب تعليم البشرية الأسس التشـريعية التـى تضمن لهم الاستقرار والسعادة وبعد أن أتم الرسـول الكريـم سـيدنا محمـد ﷺ الرسالة أدرك قرب انتقاله إلى الرفيق الأعلى اجتمع بالمسلمين فى يوم عرفـه المبارك ليوصيهم جميعًا بالتمسك بالدين جميعهم مثـل الأب الرحيـم الـرءوف الذى يتمنى لأبنائه استمرار السعادة والاستقرار :

١ - بدأ الرسول ﷺ بلفظه الحمد والمقصود إنه يحمد الله علـى إتمامـه مهـام العمل الذى وكل له علـى الوجـه الـذى ارتضـاه اللـه مـن الناحيـة الماديـة والمعنوية .

٢ - كررلفظة نحمده بصيغة الجماعة ليعلمنا وجوب الحمـد فـى كافـة أمورنـا واستمرار الثناء على الحق تبارك وتعالى .

٣ - صور المسلك والمنهج الموضوعى للمسلم فالحمد لنعم الله المتعددة ويلى الحمد الاستعانة والاستعانة جاءت بصيغة الجمع (نستعينه) وكأن رسولنا يتكلم بلسان أمته جميعًا فيرجو لهم الله بأن يعينهم فهو سبحانه خير معين ثم الاستغفار من الذنوب ويلى ذلك طلب التوبة التى تعنى عدم الرجوع للذنوب وأخيرًا مرحلة الاستعاذة من الشرور النفسية ومن سيئات الأعمال وجاءت لفظة (الشرور) بصيغة الجمع ليبين لنا الرسول الكريم ﷺ أن الشرور النفسية متعددة ومركبة ثم قال الرسول أوصيكم ليشعر المسلمين بلزوم تنفيذ الشريعة والتمسك بتعاليم الإسلام وجاء التعبير (إن دماءكم وأموالكم مضافًا إليه الضميراكم) وكأنه ﷺ يؤكد للمسلمين أنهم وحدة مادية ومعنوية أما تعبيره بلفظه (يوطنن) فهى ترمى إلى جانب معناها المادى ما للزوج من حقوق معنوية أما تعبيره ﷺ (إنما المؤمنون أخوة ...) فبين فى لفظة الأخوة وجوب التراحم والتعاطف والتكامل .

وقد عبر ببيانه الفصيح عن انتشار الاضطراب وسفك الدماء عند ترك تعاليم الإسلام بالعبادة (فلا ترجعن بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض) وقد جاء الفعل المضارع ترجعن ، يضرب ليبين استمرار التطاحن والتناوش بين المسلمون إذا تركوا تعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة أما تعبيره ﷺ كلكم لآدم وآدم من تراب يتضمن عقمًا تعبيريًا يكشف حقيقة الوجوب الإنسانى والأصل البشرى .

ومما سبق يدرك القارئ أن القرآن الكريم والحديث الشريف منبع الرقى الأدبى والسمو التعبيرى والإعجاز البيانى . ومن العرض السابق للصياغة التعبيرية التى تناولت لمحات من أسرار البيان القرآنى والنبوى يتبين أثرها فى استمرار الجمال الأدبى والسحر الفنى الذى اتسم به أدب العصر الأموى .

ومن الجدير بالذكر أن الدارس لأدب هذه الحقبة يجب أن يحيط إحاطة علمية بظروف البنية الأموية ومدارسها الأدبية فيدرس العوامل المؤثرة في الأدب حيث يقف على دور الأحزاب السياسية المنتشرة ويحيط بما لها من أراء ومذاهب والصراع الحزبي الذي أثر تأثيرًا مباشرًا في مجالات الأدب وطبيعة موضوعاته وتتمثل هذه الأحزاب السياسية في الأمويين والعلويين والزبيريين والخوارج والمرجئة ومن أبرز شعراء الأحزاب جرير والفرزدق والأخطل والكميت والطرماح وعمران بن حطان وابن قيس الرقيات وعدى ابن الرقاع ولهؤلاء الشعراء دورهم الإيجابي في الدفاع عن أراء أحزابهم ولهذا يجب دراسة نماذج من أشعارهم حتى يقف الدارس على درجة التأثير والتأثر التي تعد سمة من سمات حيوية الأدب .

التحليــل

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

(الأخطل شاعر الدولة الأموية)

ذكرت المراجع أن اسمه غياث واسم أبيه غوث واسم جده الصلت وكنيته أبو مالك لكن اللقب الذى عليه عليه هو الأخطل وشاعرنا من قبيلة تغلب وهى قبيلة كبيرة من ربيعة .

اتصل الأخطل ببنى أمية عبر موقف من المواقف السياسية التى تعد من ملامح العلاقات الحزبية بين الحكام والشعراء والكتاب فقد ذكر أن يزيد ابن معاوية فى خلافة أبيه أراد أن ينال من الأنصار لأنهم كانوا خصوم أبيه وأعوانًا لعلى وأبناء على فوقع اختياره على الشاعر كعب بن جعيل لهجائهم فامتنع وعجب من يزيد إنه يريده على أمر يرده إلى الكفر بعد الإيمان بالإسلام فرفض الشاعر ابن جعيل هجاء من نصروا رسول الله ﷺ ولكن كعبًا أشار على يزيد بأن يختار شاعرًا نصرانيًا وحدث فى هذه الأونة هجاء الأخطل للأنصار الذين مضوا إلى معاوية يشكونه فيشفع له يزيد فصار الأخطل منذ هذا الحديث مفضلاً عند يزيد ثم بعض خلفاء بنى أمية .

فقد تغيرت الأحداث ونحى الأخطل عن قصر الملك الأموى فى عهد الوليد بن عبد الملك لأن الوليد كان حادًا مع النصارى فقد عرض الإسلام على أحد شيوخ تغلب فلما رفض قتله كما أنه جعل كنيسة يوحنا بدمشق مسجدًا هو الجامع الأموى وفى عهده صار عدى بن الرقاع العاملى شاعر الدولة .

وللأخطل منزلة شعرية ينطق بها موضوعاته وفنونه الشعرية فقد نظم فى المدح والهجاء والوصف والغزل والخمريات ولكنه أبدع فى المدح والهجاء وتفنن فى توليد المعانى واختراعها وتميز فى الصياغة الحية التى توحى بالإبداع الفنى فقد عرف عنه بأنه يقوم بتهذيب شعره وتنقيحه حتى

قبل أنه كان ينظم القصيدة تسعين بيتًا ثم يضرب عن ستين ويبقى ثلاثين وهذا هو السبب فى جودة تعبيره وهو بهذا المنهج يذكرنا بالقدماء الذين سماهم الأصمعى عبيد الشعر مثل زهير والحطيئة وهكذا (الأخطل) كان يحرص كل الحرص على اختيار مفرداته وطبيعة إيقاع شعره الموسيقى .

ومن أبرز خصائص شعر الأخطل استهلال قصائده بالخمر وهو بهذا يحمل لمحة من لمحات التجديد فقد عهد فى العصر الجاهلى وقوف الشعراء على الأطلال وبكاء الديار يضاف إلى ما سبق إن شعره يذكرنا بما فى شعر العصر الجاهلى من جزالة تعبيرية وطلاقة فنية ومهارة تصويرية .

وبإيجاز : يستطيع الدارس تحديد الصفات والسمات الآتية فى شعر الأخطل وأبرزها الجزالة والفخامة - والسلامة التعبيرية - والعذوبة والوضوح مع عمق المعانى وسوف يركز البحث الضوء على خصائص شعره السياسى بعد عرض نماذج فنية تعتمد على التحليل الأدبى والفنى .

نماذج من شعره

فى مدح الأمويين

وإن بنى أمية ألبسونى ... خلال كرامة ما إن تزول
تولاها أبو مروان بشر ... لفضل ما يمن وما يحول
وشهباء المغافر فادعتنا ...ململمة يلوذ بها الفلول[1]
مسومة كأن محافظيها ... تصدع بينهم صرف شمول[2]

---

(١) شهباء : كتيبة ، المغافر : ما شد فى أسفل الخوذة .

(٢) الململمة: المجتمعة، مسومة : معلمة ، محافظيها : أى من يحمونها ، تصدع : تفرق.

ركود لم تكد عنا رحاها ... ولا مرحا حمياها تزول
فدافعها بإذن الله عنا ... شباب الصدق منا والكهول
ووقع المشرفية فى حديد ... لهن وراء حلقته صليل
وضنك لو يقوم الفيل فيه ... لأرعدت الفرائض والخصيل
حسبت به على المكروه نفسى ... وليس يقومه إلا قليل

وقال فى مديحهم :

وامتع الله بالقوم الذين هم ... فكوا الأسارى ومنهم جاءنا الصفد
ويوم شرطة قيس إذا منيت لهم ... حنث مثاكيل من ايقاعكم نكد
ظلوا وظل سحاب الموتى يمطرهم ... حتى توجه منهم عارض برد(١)
والمشرفية أشباه البروق لها ... فى كل جمجمة أو بيضة خُدد(٢)
ويوم صفين والأبصار خاشعة ... أمدهم إذ دعوا من ربهم مدد
على الأولى قتلوا عثمان مظلمة ... لم ينههم نشد عنه وقد نشدوا
فثم قرت عيون الثائرين به ... وأدركوا كل تبل عنده قود
فلم تزل فيلق خضراء تحطمهم ... تنعى ابن عفان حتى أفرخ الصيد(٣)
وأنتم أهل بيت لا يوازنهم ... بيت إذا عدت الأحساب والعدد
أيديكم فوق أيدى الناس فاضلة ... فلن يوازنكم شيب ولا مُرُد

(١) العارض : السحاب
(٢) بيضة : خوذة ، المشرفية : السيوف .
(٣) الفيلق : الكتيبة الضخمة .

ولا يز مهـــر غداة الدجن حاجبهم ولا أضـــناء بالمقـــرى وإن ثمــدوا(١)
قـــوم إذا ضـــمن أقـــوام ذو وسعة وحاذروا حضـرة العافين أو حجـدوا
بـــاروا جمـــادى بشـــيزاهـــم مـــكللة فيها خليطان وأرى الشـــحم والـــكبد
المطعمـــون إذا ذهبت شـــــآميـــة غبراء يحجر من شـــفانها الصــــرد(٢)
وإن ســـألت قريشـًا عن ذوائبهـــا فهـــم أوائلهـــا الأعلـــون والســــنُد(٣)
لـــو يُجمـــع رفـد النـــاس كلهـــم لم يرفـد الناس إلا دون ما رفـــدوا(٤)
والمســـلمون بخـــير ما بقيت لهـــم وليس بعـــدك خـــير حين تفتقـــد

(١) الدجن : الشتاء
(٢) الشآمية : أى ريح شآمية ، غبراء : تُثير الرياح / الصرد : المصاب بالبرد .
(٣) ذوائبها : الناحية .
(٤) الرفد : العطاء .

التحليل

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

الكميت شاعر الشيعة

ولد الكميت بن زيد الأسدى بالكوفة موطن الشيعة وعاش فى هذه البيئة التى تموج بمذهبهم وأراء روادهم السياسية فتشبع بهذا المناخ حتى أصبح شاعر الشيعة الذى تغنى بأمجادهم وأشاد بمنزلتهم ودافع عن حقهم من وحى إيمان عميق ويدل على ذلك نتاجه الشعرى إلى جانب ديوان الهاشميات .

وقد ساعد على بزوغ نجم الكميت فى مجال الشعر الحزبى طبيعة ثقافية حيث كان تلميذاً لواصل المعتزلى حتى أصبح من أبرز فقهاء الشيعة ومن رواة الحديث ومن الجدير بالذكر أن قبيلة أسد التى ينتمى لها الشاعر اشتهرت بتشيعها قبل ميلاد الكميت مما غرس روح التشيع فى نفسه فدافع عن الشيعة بلسان صارم كالسيف فلما عرف آل البيت ولاءه لهم أحبوه وقد ذكر أنه دخل على الإمام جعفر الصادق وأنشده إحدى هاشمياته فلما انتهى قال الإمام اللهم أغفر لكميت ما قدم وما أخر وما أسر وما أعلن حتى يرضى ودخل على السيدة فاطمة بنت الحسين فرحبت به وقالت هذا شاعرنا أهل البيت .

وقد أكد التاريخ أن صلة الكميت بالعلويين كانت خالصة من أى منفعة دنيوية وعلى سبيل المثال لا الحصر ما روى عنه حين قالت فاطمة بنت الحسين هذا شاعرنا أهل البيت جاءت بقدح فيه سويق وحركته بيدها وسقت الكميت فشربه ثم أمرت له بثلاثين ديناراً وبمركب فهملت عيناه وقال : لا والله لا أقبلها إنى لم أحبكم للدنيا .

كما روى أنه دخل على الإمام محمد الباقر فأمر له بألف دينار وكسوة فقال له الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه

ولكنى أحببتكم للأخرة فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فإنى أقبلها لبركتها وأما المال فلا أقبله وقبل الثياب ورد المال .

عاش الكميت ينظم القصائد فى مدح آل البيت وفى رثاء موتاهم وفى المناظرة زودا عنهم فكانت حياته تنعم بالأمان النسبى حتى غضب عليه خالد ابن عبد الله القسرى والخليفة هشام بن عبد الملك غضبًا أهدر دمه وأنذر بقتله فاستجار بعنبسة بن سعيد بن العاص كبير بنى أمية ليشفع له فشفع له فوقف الكميت بين يدى الخليفة وخطب معتذرًا فقرعه هشام على هجائه بنى أمية ثم قبل اعتذاره ومنحه بعض الهبات والعطايا بعد مديحه لبنى أمية ومع هذا الموقف الذى فعله الكميت ظل أهل الشيعة يقدرونه ويدركون ولاته لهم ، وخاصة إنهم يعلمون صفاته وأخلاقه فقد كان يحرص على السلام ويتجنب دوافع الانتقام ويبعد عن مواطن الخلاف ولهذا عرف بسماحة النفس وسعة الصدر فالكميت داعية من دعاة الشيعة الزيدية ومع ذلك كان يتسم بمرونة فى معاملة أنصار الأحزاب .

وشاعرنا من أبرز شعراء السياسية الذين دافعوا عن آل البيت ويرجع ذلك لإيمانه بأن الخلافة وراثية فى بنى هاشم وأولادهم أولاد على من فاطمة لأنهم أقرب الناس إلى النبى ﷺ وأحقهم بوارثته وأجدرهم بنشر دينه والحفاظ عليه وبهذا يكون من يتطلع إلى الخلافة من غير آل البيت فى ضلال مبين كما أنه نظر لبنى أمية على أنهم طغاة عصوا الله واغتصبوا مال الأمة وسفكوا الدماء بغير حق ويتبين لدارس شعر الكميت أن شعره يتسم بالعصبية المشوبة بروح المجادلة ولهذا قال الجاحظ على ما فتح للشيعة باب الحجاج بالشعر إلا الكميت ولهذا فإن مدائحه فقدت الصياغة التعبيرية الفنية التى تجذب متذوق الفن الشعرى .

وقد اعتمد الكميت فى جداله الشعرى على الاستدلال بآيات من القرآن الكريم إلى جانب الاستدلال العقلى المنطقى .

ومن الجدير بالذكر أن مدائحه لآل البيت لم تتسم بروح المدح المعهودة بل هى دفاع عن حقهم وهجوم على بنى أمية بما جعل مديحه يفتقر للعذوبة الفنية فالكميت يناظر فى هاشمياته عن الشيعة بل أنه يحول شعره إلى تقرير نظرية معينة يعيش يجادل فيها ويحاور ويدفع حجج الخصوم ويثبت مكانها حججًا قوية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها حجج تسلحت بكل ما يمكن من قضايا ومقدمات صحيحة تارة تستمد من القرآن الكريم وتارة تستمد من العقل نفسه وهذا كله الذى يجعل الهاشيمات أهيمة خاصة فى هذا العصر إذ تعبر أجمل تعبير وأدقه عن الصياغة الفكرية التى وصل إليها العقل العربى فلم يعد يعبر عن صياغة شعورية فقط بل أصبح يعبر فى بعض جوانبه على الأقل عن صياغة دعمت بكل ماعرف حينئذ من مسالك أدلة وطرق براهين وهذه هى أهمية الكميت بين شعراء عصره إذ لم يتبع الدروب الموروثة بل اختار لنفسه دربًا جديدًا غير مألوف من سابقيه ومعاصريه فسار فيه وأظهر فى ذلك براعة فائقة إذ حول شعره من ميادين العاطفة إلى ميادين الفكر وجعله كأنه مقالة يكتب فيها عن نظرية بنى هاشم فى الخلافة وهو يجمع لهذه المقالة كل خيوط المقدمات ليكون ما يريد من حجج وأدلة ومن الجدير بالذكر أن هاشميات الكميت طرفة نفيسة من طرف عصر بنى أمية لا لأن شاعرها فحسب بل لأنه اتخذها دفاعًا عن حقوق بنى هاشم كما يتصورها زيد بن على وأصحابه ولهذا فإن الهاشميات تعد أقدم نص يعرفنا بالمقالة الزيدية فقد كتب

الكميت هذه المقالة شعرًا فى العصر الأموى قبل أن تكتب نثرًا فى العصر العباسى ومن أجل ذلك كانت الهاشميات لونًا أدبيًا جديدًا فى تاريخ الشعر العربى فمن قبل الكميت لم يتخذ شاعر شعره لإثبات مقالة مذهبية أما الكميت فإنه عمد عمدًا إلى صياغة مقالة الزيدية فى الشعر مستعنيًا بكل ما ثقفه العقل العربى فى العراق لهذا العصر من صور حجاج وجدال واستدلال(١) .

نماذج من شعره

قال المديح لبنى هاشم :

بحقكم أمست قريش تقودنا ... وبالفذ منها والرديفين نركب
وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
يرون لهم فضلاً على الناس واجبًا ... سفاها وحق الهاشمين أوجب
ولكن مواريث ابن آمنة الذى ... به دان شرقى لكم ومغرب
فدى لك موروثا أبى وأبو أبى ... ونفسى ونفسى بعد بالناس أطيب
وتستخلف الأموات غيرك كلهم ... وتعتب لو كنا على الحق نعتب
يقولون : لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وأرحب
وما كانت الأنصار فيها أذلة ... ولا غيبًا عنها إذ الناس غيب
هم شهدوا بدرًا وخيبر بعدها ... ويوم حنين والدماء تصبب
فإن هى لم تصلح لحى سواهم ... فإن ذوى القربى أحق وأقرب

---

(١) التطوير والتجديد فى الشعر الأموى .د. شوقى ضيف ص٢٩٢ وما بعدها .

وقال يندد ببنى أمية :

ألا هــل عـم فى رأية متـأصــل وهـل مـدبر بعـد الإسـاءة مقبـل
وهـل أمة متيقظـون لرشــدهـم فيكشف عنـه النعســة المترمـل
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذا الميـل يعــدك
وعطلت الأحطــام حتى كـأننـا علـى ملـه غـيـر التى نتحـل
كلام النبييــن الهـداة كـلامنــا وأفعــال أهــل الجاهليين نفعـل
رضيننا بـديـنـا لا نـريـد فراقهـا علـى أننـا فيها نموت ونقتـل
ونحـن بهـا مستمسـكون كـأنهـا لنـا جُنـه ممـا تحـاف ومعقـل
أرانـا على حب الحيـاة وطـولهـا يجـد بنـا فى كل يـوم ونهـزل
فتلك أمــور الناس أضحت كـأنهـا أمــور مضيـع أثـر النــوم بُهـل
فياسـاسـة هـاتوا لنـا مـن حديثـكم ففيـكم لعمــرى ذو أفانين مقـول
أأهـــل كتـاب نحـن فيـه وأنتـم على الحق نقضى بالكتـاب ونعـدل
فكيف ومـن أنـى وإذ نحـن خلقـة فريقـان شتـى تسـمنون ونهـزل
أتصــلح دنيـانـا جميعـًا ودينـنـا على ما به ؟ ضاع السـوام المؤبل
كان كتــاب الله يعنــى بـأمــره وبالهنـى فيـه الكودنى المـركـل
آلـم يتـدبـر أيــة فتـدلـه على ترك مـا يـأتى أم القلب مقفـل
فتلك ملـوك السـوء قد طال ملكهم فحتى م حتى م العنــاء المطــول
فيـارب هـل إلا بك النصـر يرتجى عليهــم ، وهـل إلا عليك المعـول

التحليــل

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

عمران بن حطان شاعر الخوارج

عمران بن حطان من بكر بن وائل نشأ بالبصرة وذهب إلى الحجاز حيث تلقى الحديث والفقه من عائشة وابن عباس وابن عمران وأبى موسى الأشعرى ثم حدث وروى عنه بعض المحدثين .

تزوج من امرأة أمنت بمذهب الخوارج إيمانًا عميقًا إلى درجة جعلت عمران ينادى بأفكار ويدافع عنه ويشارك فى الدعوة لنشره بلسانه فقد عرف عنه طلاقة البيان وفصاحة اللسان وقد عرف الحجاج بالعمران من مقدرة تحرك العواطف فطارده مما جعل حطان يفر من العراق إلى الشام ولم يكتف الحجاج بفراره فبعث إلى الملك يخبره بأمره ويصف له خطره البيانى فأحتد عبد الملك فى طلبه وأهدر دمه ولعمران منزلة فى النثر والشعر حيث عرف بالخطابة الواعية المثيرة القادرة على إثارة الفكر والعاطفه لصالح دعوته .

وقد رويت المصادر علاقته الوطيدة بروح بن ذنباع حيث نزل حطان عليه فاكرمه روح وأنس به عامًا كاملاً وكان مبهورًا بأخلاقه وفكره وذات يوم حدث روح عبد الملك بمزايا ضيفه فعرف عبد الملك أنه عمران ابن حطان مما دفع الشاعر إلى الهرب واستقر به المقام فى عمان حيث وجد قومًا من الخوارج فكشف لهم عن حقيقته لكن الحجاج استمر فى طلبه وإهدار دمه فاختفى عمران بقرية قريبة من الكوفة قضى فيها بقية حياته بين جماعة من الأزد .

وشعره يتسم بالوضوح والدقة والصدق إلى جانب خصوبة الخيال فقد كان حريصًا على انتقاء ألفاظه وعباراته وموسيقاه .

نماذج من شعره

قال فى مديح روح بن زنباع عند فراقه :

يا روح كم من أخى مثوى نزلت به ... قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى إذا خفته فارقت منزله ... من بعد ما قيل : عِمران بن حِطان
قد كنت ضيفك حولا لا تروعنى ... فيه الطوارق من إنس ومن جان
حتى أردت بى العظمى فأدركنى ... ما أدرك الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له ... فى الحادثات هنات ذات ألوان
يومًا يمان إذا لاقيت ذا يمن ... وإن لقيت معديا فعدنانى
لو كنت مستغفرا يوما لطاغية ... كنت المقدم فى سرى وإعلانى

وقال فى مدح الأزد :

نزلت بحمد الله فى خير منزل ... تسر بما فيه من الأنس والخفر
نزلت بقوم يجمع الله شملهم ... وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الأزد إن الأزد أكرم أسرة ... يمانية طابوا إذا نسب البشر
فأصبحت فيهم أمنا لا كمعشر ... أتونى فقالوا : من ربيعة أو مضر
أم الحى قحطان ؟ وتلك سفاهة ... كما قال لى روح وصاحبه زفر
وما منهما إلا يسر بنسبه ... تقرِّبنى منه وإن كان ذا نفر
فنحن بنوا الإسلام والله ربنا ... وأولى عباد الله بالله من شكر

قال فى على عبد الرحمن بن ملجم قاتل الأمام على :

لله در المـرادى الـذى سـفكت ... كفاه مهجة شـر الخلق إنسـانا

أمسـى عشـية غشـاه بضـربتـه ... معطى مناه ، من الآثـام عـريانـا

يـا ضـربة من تقى مـا أرادبهـا ... إلا ليبلغ من ذى العـرش رضـوانا

إنى لأذكـره يـومـًا فأحسـبه ... أوفى البريـة عنـد الله ميزانـا

وقد رد كثير من الشعراء على هذه الأبيات .

التحليــل

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

ابن قيس الرقيات شاعر الزبيرين

هو عبيد الله بن قيس ينتهى نسبه إلى لؤى بن غالب واما الرقيات فالراجح أنه لقب غلب عليه لا على أبيه لأنه تغزل فى نساء منهن ثلاث كل منهن اسمها رقية .

كان ابن قيس زبيرى المذهب حيث كلف بمصعب بن الزبير وآمن بدعوته حتى خرج معه إلى العراق فلما جد عبد الملك فى محاربة مصعب وتبين مصعب أن أنصاره غدروا به دعا ابن قيس وأمر بمال ومناطق فملأها من ذلك المال وألبسه منها وقال له انطلق حيث شئت فإنى مقتول فقال له ابن قيس لا والله حتى أرى سبيلك وأقام معه حتى قتل فهرب إلى الكوفة ثم شخص إلى المدينة ولجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ليشفع له عند عبد الملك ولم ينقص من مكانته عند الزبير بين اتصاله بعبد الملك ومدحه فقد روى أنه أستأذن مرة على حمزة ابن الزبير فقالت له الجارية ليس عليه الأن إذن فقال ينبغى أن يكون هذا ابن قيس الرقيات أتذنى له فأذنت له فقال : مرحبًا بك يا بن قيس هل من حاجة نزعت بك قال : نعم زوجت بنين لى وبنات فقال حمزة : فلكل من بنيك عطايا ومال(١) .

وإذا كان ابن قيس قد نظم فى الشعر السياسى المتمثل فى مديح الشيعة فإنه نظم أيضًا فى الغزل والفخر والوصف وهجاء ويتسم شعره السياسى بالدعوة إلى نصر مذهبه الزبيرى ببنى أمية ويعتمد شعره السياسى على الجدل والتعليل والبرهان .

أما المديح المتمثل فى أهل مذهبه فيتميز بالصدق العاطفى والوضوح التعبيرى كما أن مديحه لعبد الملك يتصف بالقوة والجزالة .

---

(١) بتصرف النجوم الزاهرة

والمتذوق لأشعاره فى الوصف والغزل يتبين ما تمتع به من سهولة ووضوح وخصوبة خيالية إلى جانب قرب المأخذ .

نماذج من شعره

قال فى مديح عبد الله بن الزبير وقيل عبد الملك بن روان

أو فى قـريـش بـالعــلا فى حكمهـا وقضـائهـا
ولأنت أعملهـا بهـا وأصحهـا من دائهـا
وأتمهـا نسـب إذا نسـبت إلـى آبـائهـا
إن البـلاد سـوى بلا دك ضـاق عرض فضـائهـا
فاجمـع إلى بنى إلى بتــد ك فأنت خير رعايتها
نشـهدك منا مشـهدا ضـنكا على أعدائهـا

وقال فى مصعب بن الزبير :

على بيعه الإســلام بايعن مصعبا كراديس من خيــل وجمعا مباركا
تدراك أخـرانا وتمضـى أمـامنا وتتبـع ميمـون النقيبـة ناسـكا
إذا فرغت أظفـاره من كتيبـة أمال على أخرى السـيوف البواتكا

وقال فى الندم على وحدة قريش :

أيهـا المشتهى فنـاء قـريش بيـد الله عمـرها والفنـاء
إن تـودع من البـلاد قريش لا يكن بعـدهـم لحى بقـاء
لـو تقفى وتترك الناس كانـوا غنم الذئب غاب عنها الرعاء

التحليـــل

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

مدرسة شعراء النقائض

ظهرت النقائض القبلية فى العصر الجاهلى فيما قيل فى يوم الكلاب الأول والكلاب الثانى كما أن النقائض الدينية وجدت فى عصر النبوة بين حسان وكعب بن مالك وضرار بن الخطاب أما النقائض الأموية فهى فن سياسى وأدبى جديد نشأ بتأثير الحاجة إليه فى شئون السياسية والعصبية والأدب فالجانب السياسى والأدبى منه جديد أما الجانب القبلى الاجتماعى فهو تطور للجدل القبلى الجاهلى القديم .

وقد احتدت معركة الهجاء السياسى بين جرير والفرزدق والأخطل ودخل فيها الكثير من الشعراء الأمويين وفى هذه الحركة نظمت أكثر النقائض المأثورة التى جمعها أبو عبيدة وأشهرها نقائض جرير والفرزدق.

وترجع أسباب نشأة شعر النقائض إلى :

أسباب سياسية واجتماعية – العصبيات التى اشتعلت نارها فى هذا العصر – المنافسات الأدبية .

وتتسم النقائض بحدة الهجاء إلى درجة تصل إلى الإفحاش كما يتجلى فيها خصائص لمدرسة أدبية وشعرية ونقدية تمتاز بالحيوية التابعة من واقعية المعانى وصدق الانفعالات إلى جانب ما تتصف به من المبالغات فى تصوير الهيئات والمشاهد والحركات والمعنويات .

والنقائض قصائد ضخمة استنفدت جهدا غير قليل وهى من حيث الشكل تتألف من قصيدتين ينظم أحد الشاعرين المتناقضين من وزن خاص وقافية خاصة ثم يأتى زميله فينقض القصيدة بقصيدة أخرى من نفس الوزن والقافية وكأنه يريد أن يثبت تفوقه عليه فى الأسلوب والصياغة التعبيرية والإيقاع

الموسيقى والمعانى وعمقها ولهذا يرى المتذوق أن الشاعر أثناء صنيعه لنقيضته لمعانى زميله فيردها أو يرد عليها معنى ويحاول أن ينقضها وأن يجعلها حطاما .

كما يجد المتذوق أن شاعر النقائض لا يتحدث عن نفسه عبر فخر ذاتى وإنما يعبر عن قبيلة حيث يتحدث باسمها فيذكر أمجادها ثم يعدد مثالب الخصوم لهذا يتسم شعر النقائض بروح الحمية والعصبية وتتسم بالجدل والحوار ويدرك المتلقى من النقائض أنها تعكس بجلاء الحركات الدينية والعقلية وأنها تمثل المناظرات التى كان يعقدها العلماء يدافعون فيها عن فكرة دينية أو رؤية فقهية أو مسألة تتصل بمذهب من المذاهب الجدلية ومن الجدير بالذكر أن بيئة النقائض تمثل الحياة الأموية بصدق وقد ساعد على ذلك الأسواق الأدبية ومالها من حيوية فكرية واجتماعية وسياسية ومن هذا المنبع يدرك الدارس لفن النقائض أنها تحتاج لثقافة واسعة وواعية تتناول تاريخ العرب وما يتصل بالقبيلة من ظروف مختلفة تعكس حياة ناطقة وقد بين د. شوقى سمة النقائض قائلاً :

(تألفت نقائض جريروالأخطل والفرزدق من مفاخر قديمة وعلى رأسها الأيام كما تتألف من مثالب قديمة وعلى رأسها الأيام أيضًا وهى بجانب ذلك كله تتألف من مواد حديثه تتصل بالظروف السياسية وبعناصر الإسلام وهذا كله يمزج بسخرية لاذعة بالقبيلة وهى سخرية تمس أخلاقها وخصالها ومن هنا تنوعت النقيضة وتنوعت معانيها وكان الشاعر يقبل على نقيضة خصمه وكأنه يقبل على مناظرة فهو ينظر فى كل أدلتها ويسوق أمامها ما ينقضها ويهدمها هدمًا ويشعر الإنسان شعورًا واضحًا حين يقرأ فى النقائض أن الشاعر يقرأ قصيدة خصمه متأنيا متمهلاً متبينًا كل معنى على حده ثم

ينظم قصيدته وكأن كل بيت فيها يرد على بيت مقابل فى القصيدة الأولى ولا نشك فى أنه ولد المعانى الكثيرة أثناء القيام بهذا العمل الفنى وهو توليد كان ثمرة للرقى العقلى الذى أحرزه الفكر العربى فى عصر بنى أمية ....

وقد حصل جرير وصاحبه الفرزدق خاصة من الرقى العقلى الذى أحرازه على ضوء ما كانا يسمعان من المتناظرين والمتكلمين فى مسائل التشريع والإيمان وما رأياه عندهم من تشقيق الأفكار وتوليدها وسبر أغوارها فذهبا يطبقان ذلك على فن الهجاء فنقلاه هذه النقلة الكثيرة إلى مناظرات بديعة وأخضعا هذه المناظرات لكل الثروة العقلية التى لقفاها من العلماء أثناء بحثهم ومحاوراتهم ومداوراتهم كما أخضعاها لكل الظروف السياسية والاجتماعية التى ألمت بعصرهما وقد أخذ كل منهما يجوب المعانى القديمة والمعانى الجديدة التى أحدثها ويحاول أن يستفيد كل مادتها وأن يستخرج منها كل ما يمكن من سخرية بصاحبة وبقبيلته ومن هنا نتبين صعوبة هذا العمل الفنى وأنه لم يكن عملا سهلا بل كان عملا صعبا معقدا ففيه هذا المزج بين العناصر القديمة والحديثة التى تتمثل فى التوليد الواسع للمعانى والصور والأفكار وكان كل من يحاول الوقوف معهما فى هذا الميدان يسقط إلى الأبد ولم يثبت معهما سوى الأخطل ولذلك كان يعده النقاد ثالث الثلاثة الممتازين فى العراق بل فى العالم العربى كله حينئذ .

وقد تم العمل وأحكم عند جرير والفرزوق فإن الأخطل لم كثيرا وكان بعيدًا عن العراق فكان لا يزور البصرة الإلماما وهو عمل تم واكتمل فى المريد[1] .

---

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأموى - د . شوقى ضيف بتصرف ١٨٢ : ٢٢١ بتصرف .

نماذج الشعراء مدرسة النقائض

(قال الفرزدق يهجو جريرا فى إحدى)

النقائض

إن الــذى ســمك الســـماء بنى لنا — بيتــا دعــائمه أعـــز وأطـــول
بيتـــا بنـــاه المليـــك ومـــا بنـى — حــكم الســـــماء فإنـــه لا ينقـــل
بيتـــا زرارة محتـــب بفنـــائــه — ومجاشع وأبو الفـــوارس نهشـــل
لا يحتبـــى بفنـــاء بيتـــك مثلهـــم — أبـــدا إذا الفعـــال الأفضـــل
ضـــربت عليك العنكبــوت بنسجها — وقضـــى عليك به الـكتاب المنـــزل
أحـــلامنـــا تـــزن الجبـال رزانة — وتخـالنـــا جنـــا إذا مـــا نجهـــل
فـادفع بـــكفك إن أردت بنـــاءنـــا — ثهلان ذا الهضـــاب هـــل يتحلحـــل
يـــا ابن المـــراغة أين خـــالك إننــى — خـــالى حبيش ذو الفعـــال الأفضـــل
خـــالى الذى عقب الملـــوك نفوسهم — وإليـــه كان حبـــاء جفنـــة ينقـــل
إنـــا لنضـــرب رأس كل قبيـــلة — وأبـــوك خلف أتـــانه يتقمـــل
وشغلت عن حسب الـــكرام ومابنوا — إن اللئيـــم عـــن المكارم يشـــغـــل

وقال جرير :

لمـــن الـــديـــار كأنهـــا لـــم تحـــلل — بين الكناس وبيـــن طلـــح الأعـــزل
ولقـــد أرى بك والجـــديد إلى بلـــى — موت الهـوى وشـــفاء عين المجتلى
وإذا التمســـت نـوالهـــا بخلت بـــه — وإذا عرضت بـــودهـــا لم تبخـــل

يـا أم ناجيـة الســـلام عليكمو   قبــل الرواح وقبـل عــذل العـذل
لــو كنت أعلــم أن آخــر عهدكم   يـوم الرحيل فعلت مـا لم أفعـــل
أعـددت للشـــعراء سـما ناقعـا   فسـيقت آخـرهــم بكأس الأول
لمـا وضعت على الفـرزدق ميسمى   وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل
أخـزى الذى سمك السماء مجاشعا   وبنى بناءك فى االحضيض الأسفل
ولقــد بنيت أحســـن بيت يبتنــى   فهــرمت بيتــكم بمثلــى يـذيــل
إنــى بنــى لـى فــى المكارم أولى   ونفحت كيـرك فى الزمــان الأول
إنى انصبت من الســماء عليـكم   اختطفتــك يـــا فرزدق مـــن علــى
أحلامنــــا تــزن الجبــال رزانـة   ويفــوق جــاهلنا فعــال الجهـــل
فـارجع إلى حكمى قـريــش انهـــم   أهــل النبــوة والكتــاب المنـــزل
إن الذى ســمك الســماء بنى لنـــا   عــزا عــلاك فمــاله من منقـــل

التحليـــل

مدرسة شعراء الرجز

أبو النجم - العجاج - رؤبة

ظهرت بذور الرجز منذ العصر الجاهلي حيث جمع بعض شعراء هذا العصر . بينه وبين القصيد منهم أمرؤ القيس ، وطرفه ، ولبيد وقد اتسم الرجز بالصناعة الفنية فقد ذكر أبو عبيدة أن العجاج هو أول من أطال الرجز وقصده وضمنه أغراض القصيدة وإنه في الرجاز كامرئ القيس في الشعر وأرجوزته (قد جبر الدين الإله فجبر) نحو مائة بيت من الأراجيز الجيدة ومن الجدير بالذكر أن العجاج قد انتقل بالرجز خطوة جديدة فسار فيه على منهج الشعراء في القصيدة ومن أشهر الرجاز :

العجاج وابنه رؤبة بن العجاج ، وأبو نخيلة وأبو النجم ودكين ، والأغلب .

وتذكر المراجع الأدبية أن الأراجيز كثرت في المعارك الإسلامية الأولى وفي وصف الفتوحات والحروب وكانت الأراجيز في صدر الإسلام تتغنى بحمد الله سبحانه ورثاء الشهداء ومدح المجاهدين ووصف الأشواق للبطولة والكفاح إلى جانب إبراز معاني الحنين إلى الأوطان وإثارة المشاعر الإسلامية والوطنية .

ويروي الجاحظ في الحيوان والبيان والتبين أراجيز تكشف عن قيمتها الأدبية وقد شاعت الأراجيز في العصر الأموي وتميزت بما تضمنه من غرائب اللغة إلى جانب الإتجاه التعليمي ولهذا تعد الأرجوزة الأموية مثلاً حيًا للشعر التعليمي وقد تطورت الأرجوزة في العصر الأموي في الجانب اللغوي مما أثمر التجديد في ملامحها الفنية وكان الرجز كثيرًا ما ينظم في الحداء

للقافلة وقد تفنن الشعراء فى بحر الرجز فتعددت ألوانه وضروبه ونظموا من الأراجيز الطوال وهى ما زادت على عشرة أبيات أما غير الرجز فكانوا ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند الحاجة وثم أطالوا منه ولما وضعوا الأوزان صار الغناء عندهم ألحانا فجعلوا لكل غناء أو لحن وزنًا مخصوصًا فللرثاء وزن وللحماسة آخر(١) .

ومن الجدير بالذكر أن الرجز كل كلام موزون من بحر الرجز وتفعيلاته :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن

ومن أشهر شعراء الرجز رؤبة بن العجاج .

رؤبة بن العجاج

هو رؤبة بن العجاج التميمى نشأمع أبيه مع أبيه فى البادية ثم نزلا البصرة ومن هناك أرسلهما الحجاج إلى دمشق كى يفدا على الوليد بن يزيد مع من يفدون عليه لمدحة وهذا الخبر أقدم أخباره ويظهر أنه ارتحل إلى الشرق مع الجيوش الغازية فى الهند بقيادة محمد بن القاسم الثقى الذى أتم فتح السند ففى ديوانه أرجوزة يشيد فيها به بسياسته وفى شعره ما يدل على أنه اضطرب فى الحروب والحوادث التى وقعت بخراسان بعد قتل قتيبة ابن مسلم سنة ٩٦هـ .

وتتجلى فى أراجيزه روح التعصب لقومه ولعل ذلك ما جعله يهجو المهلّب الأزدى فقد كانت المنازعات تحتدم بين تميم والأزد فى البصرة وخراسان وتذكر المصادر أن أول خليفة يفد عليه بعد سليمان هو الوليد بن

(١) البناء الفنى للقصيدة العربية أ. د. محمد خفاجى – ص٧١ : ٧٦ بتصرف .

يزيد بن عبد الملك ففى ديوانه أرجوزة فى مديحه وتكشف أراجيزه على أنه لا يزال يرحل إلى الشرق فقد مدح نصر بن سيار والى خراسان .

ويعد رؤبة من أعظم شعراء الرجز فى العصر الأموى فقد اكتمل فن الرجز عنده أكثر مما كان عند أبى النجم العجلى وغيره .

ومن المعروف أن الرجز عرف فى العصر الجاهلى ولكن بصورة بسيطة فلما جاء العصر الأموى بما فيه من مظاهر استدعت الحاجة إلى وزن الرجز وأصبحت الأراجيز تشارك فى النهضة الشعرية فتنفعل مع ظروف الحياة وتصورها عبر قصائد المديح خاصة التى نظمها رؤبة فى مدح خلفاء الدولة الأموية .

وقد استخدم الرجز كأداة تعليمية تنظم فيه الأمثال والشواهد إلى جانب التغنى بالمديح والوصف فى إطاره الموسيقى وبهذا تكون الأرجوزة الأموية أول شعر تعليمى ظهر فى اللغة العربية وتحولت بنظمها إلى وظيفة إيجابية تصاغ بها الألفاظ الغربية لتكون مادة يجد فيها اللغويون خصوبة تعليمية حيث ذكر الرواة أن أحد الرجاز أتى بأربعة ألفاظ جديدة لم تكن معروفة فى العربية كما ذكروا أن الطرماح كان يسأل رؤبة عن الغريب فيخبره به وسرعان ما يرويه بعد فى أشعارهُ ومما سبق يدل على أن رؤبة مدرسة لعشرات المسائل ولمعظم الغريب فى لغة عصره والمتذوق لشعر رؤبة (أراجيزه) يدرك أن الشاعر يصوغ ألفاظه ويعبر عن معانيه بحس لغوى وملكة مبدعة وثمرة المطاف تعد أراجيز رؤبة من الإتجاهات الجديدة التى لم تكن معروفة بين الشعراء فالشعر أصبح لا يؤلف من أجل التعبير عن العواطف فحسب بل أصبح يؤلف أيضًا من أجل أرباب اللغة من النحويين الذين استطاعوا عبر تشجيعهم أن يكون رؤبة رائد هذا النمط الجديد المبتدع(١) .

---

(١) راجع التطور والتجديد فى الشعر الأموى – أ. د. شوقى ضيف بتصرف ص٣٤٠

نماذج من أراجيز

رؤبـــة

قال في وصف مفازة :

وقـــائم الأعماق خـــاوى المختـــرق — مشـــــتبه الأعـــلام لماع الخفـــق
يـــكل وفـــد الريح من حيث انخـــرق — شـــــأز بمن عوّه جـــدب المنطلق
نـــــاء مـــن التصبيح نـــائى المغتبق — تبـــدو لنـــا أعـــلامه بعد الغـــرق
فى قطـــع الآل وهبـــوات الدقـــق — خـــارجـــة أعنـــاقهـــا مـــن معتنـــق
تنشّطتـــه كل مغـــــلاة الوهـــق — مضبـــورةٍ قـــرواء هرجاب فنـــق
مـــائرة العضـــديـــن مصلات العنـــق — مسودة الأعطاف من وشم العـــرق
إذا الدليـــل استاف اخـــلاق الطرق — كأنهـــــا حقبـــاء بلقـــــاء الزلـــــق
أو جـــادر الليتين مطـــوى الحنق — محملج أدرج أدراج الطلـــق(١)
لـــوّح منـــه بعـــد بدن وســـنق — من طول تعداء الربيـــع فى الأنـــق
تلويحك الضـــــامر يطـــوى للسبق — ترد ثمـــــان مثـــــل امراس الأبـــق
فيهـــا خطوط مـــن ســـواد وبلـــق — كأنهـــــا فى الجلـــــد توليع البهـــق
يحســـبن شـــــامًا أو رقاعًا من بنق — فـــوق ألكلى من دائرات المنتطـــق
مقـــذوذة الآذان صـــدقات الحـــدق — قد احصنت مثل دعاميص الرنـــق

---

(١) ديوان أراجيز رؤبة ص١٠٤

أجنـــة فى مستـكنات الحلـــق | فعف عن أســـرارها بعـــد العســق
ولم يضعهـا بيـــن فـرك وعشـــق | لا يترك الغيـرة من عهـد الشــبق
ألف شتـــى ليس بالـراعى الحمـق | شذا به عنها شـذى الربع السُـحق
قباضة بيـن العنيـف واللبـــق | مقتـــدر الضيعـة وهـــواه الشـفق
شـــهرين مرعهـــا بقبعـان السلق | مرعى أنيـــق النبت عجاج الغـــدق
جـوازئًا يخبطـــن أنـــداء الغمـــق | من باكر الوســـمى نضـــاح البـوق
مستأنف الأعشاب من روض سمق | حتى إذا ما أصـفر حجـران الذُرق
وأهيج الخلصـــاء من ذات البـــرق | وشـــفها اللـــوح بمـأزول ضيـــق
وبت حيـل الجـــزء قطـع المنحذق | وحل هيف الصـيف اقـران الربـق
وخـف أنـــواء الربيـــع المرتـــزق | واستن أعـــراف السفا على القيـــق
وانتسجت فى الريح بطنـــان القرق | وشج ظـهر الأرض رقاص الهـزق
هيـــج واجتابت جديدًا عن خلـــق | كالهروى انجاب عن لون الســـرق
طيـــر عنها النســـئ حولى العقق | فإنمـــاز عنهـــن موارات المـزق
ومـــاج غدران الضحاضيـــح اليقق | وافترشـــت أبيض كالصبح اللهـــق
قـوارِبًا مـن واحـــف بعـــد العبـق | للعـــد إذ اخلفهـــا مـــاء الطـــرق
بيـــن القـــرييـــن وخبـــراء العـــذق | يشـــذب أخراهن مـــن ذات النهـــق
أحقب كالحلج مـــن طـــول القلـــق | كأنــــه إذ راح مســـلوس الشـــمق

نشــــر عنه أو أســــير فدعتــق   منســـــرحًا إلا ذعاليب الحـــرق
منتحيـًــا من قصـــده على وفــق   صــاحب عادات من الورد الغفــق
ترمى ذراعية بجثجات الســــوق   ضرجًا وقد انجدن من ذات الطـوق
صــــوادق العقب مهــا ذيب الـولق   مســتويات القــد كالجنب النســـق
تحيــد عن أطلالهــا مــن الفـرق   من غائلات الليل والهــول الزعــق

التحليــل

شعراء مدرسة الزهد

وتأثرها بالحسن البصرى

عاش المسلمون فى رحاب القرآن الكريم كتاب الله العظيم وروضته الفيحاء التى تفوح بعطر الهداية والنشوة والسعادة يستنشقون منه أنوار الإيمان ويقطفون ثمار الرضا ويحصدون أزهار الرفعة والشرف والنبل أنزله الحق على نبيه الأمين ﷺ فوضع فيه الأصول والقوانين التى تضبط مصالح الفرد والجماعة وتنظم العلاقات الإنسانية وتقعد للتكافل الاجتماعى وبهذا فالإسلام دعوة للخير ونداء للسعادة ونور يبدد ظلمات الحياة ولهذا يجد الباحث فى صدر الإسلام أن المسلمين عاشوا فى بيئة مستقرة مطمئنة تنعم بالسكينة تنبض بحياة زاهدة تتطلع إلى رضا الله سبحانه وتوفيقه مما جعل كثير من الصحابة يتمسكون بحياة الزهد والتقوى ويرفضون زينة الحياة الدنيا ومن الصحابة الأولين الذين اشتهروا بالزهد حذيفة بن اليمان وأبو الدرداء الذى يُروى عنه فى الزهد عبارات مأثوره من مثل قوله " اضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث أضحكنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل لا يُغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى ساخط ربه أم راض وأبكانى هول المطلع وانقطاع العمل وموقفى بين يدى الله يُدرى أيأمر بى إلى الجنة أم إلى النار .

وعلى هذا النهج انتشرت موجه النسك فى صدور كثير من الصحابة الذين رافقوا زاهد الأمة وعابدها الأول رسول ﷺ وانتشر معها كثير من المجاهدات والرياضات وخاصة فى الصوم والصلاة ووصف هذه الطائفة الحسن البصرى فقال (أدركت من صدور هذه الأمة قومًا كانوا إذا جهم الليل

فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم " .

واستمرت هذه المجاهدات والرياضيات للنفس فى أشكال مختلفة فكان بعضهم يكثر من الصلاة حتى ليصلى ألف ركعة فى اليوم واشتهر محمد بن طلحة بن عبيد الله بأنه يسجد فيطيل فى سجوده حتى إن العصافير لتسقط على ظهره تحسبه حائطًا وكانت هذه المجاهدات حين يصنع بعضهم ذنبًا يندم عليه فقد ارتكب أبو لبابة معصية فربط نفسه إلى عمود فى مسجد المدينة وبقى مده على هذه الحال حتى ظن أن الله غفر له .

ومن المعرف أن أعظم وعاظ العراق الحسن البصرى ومن أشهر أقواله فى الوعظ :

" ليس الإيمان بالتحلى ولا التمنى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقته الأعمال " ومن قوله أيضًا : (مثقال من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة) ومما سبق يدل على أن شعراء عصر بنى أمية شبوا فى عصر جديد يتمتع بالروح الإيمانية المثالية التى تدرك قدرة الله وعظمته وهذا كله طبع نفسية كثير من الشعراء فى العصر الأموى لم تكن معهودة فى العصر الجاهلى حتى ليروى أن الحسن البصرى حضر جنازة زوجة الفرزدق فقال له ماذا أعددت لهذا المضجع فقال الفرزدق شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فأين الطنب فقال فى الحال :

أخاف وراء القبر إن لم يعافنى ... أشد من القبر التهابًا وأضيقًا
إذا جاءنى يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خالب أولاد دارم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة موثقًا

يقـــاد إلى نـــار الجحيم مســــربلاً   ســــرابيل قطـــران لباسًـــا محرقـــا

ومن ملامح زهده رغم ما عرف عن استهتاره قصيدته :

التى يهجو فيها إبليس :

ألم تـرنى عاهـــدت ربى وإننـــى   لبيـــن رتـــاج قائمـًــا ومقـــام

على قســـم لا أشــتم الدهر مسلمًا   ولا خـارجـًـا من فى ســـوء كلام

اطعتـــك يـا إبليس سبعيـــن حجـة   فلمـــا انتهى شـــيبى وتم تمـــامى

فـررت إلى ربـــى وايقنت أننــــى   ملاق لأيـــام المنـــون حمـــامــى

ألا طالما قــد بت يوضـــع نـاقتــى   أبــو الجن إبليس بغيـــر خطـــام

يــظل يمنينــى على الرحــل فاركا   يــكون ورائى مـــرة وأمـامـــى

يبشـــــرنى أن لن أمـــوت وأنـــه   ســـيخلدنى فى جنـة وســـــلام

فقلــت له هـــلا أخيـــك أخـــرجت   يمنيك من خضـــر البحـــور طـــوام

رميت بـــه فى أليـــم لمـــا رأيتـــه   كفرقة طـودى يـذبل وشـــــمام

فلمـــا تـــلاقى فـوقه الموج طاميًا   نكصـــت ولم تحتـــل لـه بمـــرام

ألم تـــأت أهل الحجر والحجر أهله   بـــأنعــم عيش فى بيـوت رخـــام

فقلت : أعقـــروا هـــذه اللقوح فإنها   لـــكم أو تُبخـــوها لقـــوح غـــرام

فلمـــا أنـــا خـــوهـــا تبـــرأت منهم   وكنت نـكوصًـــا عنـــد كل ذمـــام

وآدم قـــد أخرجته وهـــو ســـاكن   وزوجتـه مـــن خيـــر دار مقـــام

وكم من قرون قد أطاعوك أصبحوا   أحـــاديث كانـــوا فى ظـلام غمـــام

وأنت يـــا إبليس بـــالمـــرء ابتغى رضـــاه ولا يتقـــادنى بزمـــام

سأجزيك من سوآت ما كنت سقتنى إليه جروحـًا فيـك ذات كـلام

وقد ظهرت ملامح الزهد فى أشعار كثير من شعراء العصر الأموى مثل جرير وابن قيس الرقيات وكثير والطرماح وقطرى بن الفجاءة وذى الرمة وعروة ابن أذينة ولعل قول قطرى بن الفجاءة من الأقوال الجيدة فى هذه المجال :

أقـول لهـا وقـد طـارت شعاعـًا من الأبطـال ويحـك لـن تراعـى

فإنـك لـو سألـت بقـاء يـوم علـى الأجل الذى لك لـن تطاعـى

فصبرًا فى مجـال المـوت صبـرًا فمـا نيـل الخلـود بمستطـاع

ولا ثـوب البقـاء بثـوب عـز فيطوى عن أخـى الخنـع اليـراع

سبيل المـوت غايـة كـل حـى فـداعيـه لأهـل الأرض داعـى

التحليـل

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

مدرسة الوصف الحسى

الوصف فن قديم نظم فيه الشعراء منذ العصر الجاهلى فتغنوا بكل ما يتصل بعناصر البيئة من سماء وليل وكواكب ونجوم ورياح وأمطار وبرق وسحاب ونبات وأشجار وصحراء ونجاد ووهاد وكثبان كما وصفوا الإبل والخيل والطير والنعام والأرام وقد اتسم وصفهم بالدقة والصدق فى تصوير الواقع الذى يحيط بهم مما ساعد على شيوع الأصالة الفنية كما تمتعت قصائد وصفهم بالسلاسة التعبيرية والخصوبة الخيالية وقد استمد الوصف حيويته فى العصر الأموى من الأشعار السابقة وتفجرت ينابيعه من ظروف هذه الحقبة المترفة فوصف شعراء هذه العصر ما وصفه شعراء العصر الجاهلى مع ظهور ملامح البيئة الأموية التى فاضت بالجمال والحضارة والسحر وتميز بعض شعراء الوصف بخصائص فنية تجسد فى مجالات وصفهم مثل ذى الرمة.

ذو الرُمة

اسمه غيلان بن عقبة بن مسعود اختلف الرواه فى سبب تلقيبه بذى الرمة فزعم بعضهم أن مَيّه التى أحبها وتغنى بها فى شعره هى التى لقبته بهذا اللقب وذلك أنه مر بخبائها وهى جالسة إلى جنب أمها فاستسقاها ماء فقالت أمها قومى فاسقيه وكانت على كتفه رمة وهى قطعة من حبل فأتته بالماء وقالت اشرب ياذا الرمة فلقب بذلك وزعم البعض أنه لقب بذلك لقوله فى بعض شعره (أشعث باقى رمة التقليد) .

ولد ذو الرمة فى فيافى الدهناء ببادية اليمامة إذ كانت قبيلته تنزل هناك مع تميم .

كان ذو الرمة كثير الرحلات إلى العراق وخاصة البصرة والكوفة وقد ذكر الكتاب أن الشاعر تميز بفن الوصف وتجسد ذلك فى وصفه الصحراء إذا استطاع أن ينفذ فى هذا الوصف إلى لوحات رائعة وهى لوحات دبجتها براعة شاعر عاشق للصحراء وذو الرمة فى هذا الجانب فريد فى الشعر العربى القديم حيث وصفها وصفًا حيًا يُشعر المتلقى إنه يذوب داخلها ويتغنى بلسانها ويخفق قلبه بنبضها فيرسم مشاهدها ويسجل مناظرها ويتغنى بأيامها ولياليها وصخورها ورمالها وأعشابها وأشجارها وحيوانها وكل ما يجرى فيها من رياح وبرق ورعد ومطر وكل ما يلمع فى سمائها من كواكب ونجوم وغيوم وما يظهر فيها من سراب وآبار وطيور(١) ومن غير شك كان يستوحى ذو الرمة من الشعر القديم صوره ولكنه عرف كيف ينفذ من خلال ذلك إلى طريقة جديدة فى وصف صحرائه استطاع أن يصنع من خلالها هذه اللوحات الفاتنة التى تدل دلالة واضحة على أن الشعر العربى تطور فى هذا العصر تطورًا لم يقف عند الظواهر بل غاص داخل الموصوف عبر حديث النفس والمشاعر والأحاسيس والخيال مما ساعد على الإبداع التصويرى والتوليد المخترع .

نماذج من شعر الوصف

الحسى لذى الرمة

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادن ... أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل ادماء حرة ... شعاع الضحى فى متنها يتوضح

---

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأموى - د. شوقى ضيف - تبصرون .

تغادر بالوعساء وعساء مشرف ... طلا طرف عينها حواليه يلمح
رأتنا كأنا قاصدون لعهدها ... به فهي تدنو تارة وتزحزح
هي الشبه أعطافا وجيدًا ومقلة ... ومية أبهى بعد منها وأملح
أناة يطيب البيت من طيب نشرها ... بعيد الكرى زين له حين تصبح
كأن البرى والعاج عجت متونة ... على عشر نهى به السيل أبطح
لها كفل كالعانك استن فوقه ... أها ضيب لبدن الهذا ليل نضج
وذو عذر فوق الذنوبين مسبل ... على البان يطوى بالمدارى ويسرح
أسيلة مستن الدموع وما جرى ... عليه المجن الجائل المتوشح
ترى قرطها فيواضح للبيت مشرفًا ... على هلك في تفنف يتطوح
وتجلو بفرع من أراك كأنه ... من العنبر الهندى والمسك يصبح
ذرى أقحوان راحة الليل وارتقى ... إليه الندى من رامة المتروح
تحف بترب الروض من كل جانب ... نسيم كفار المسك حين تفتح
هجان الثنايا مغربًا لو تبسمت ... لأخرس عنه كاد بالقول يفصح
هي البرء والأسقام والهم ذكرها ... وموت الهوى لولا التنائي المبرح
ولكنها مطروحة دون أهلها ... أوران يجرحن الأجالد برح
ومستشحجات بالفراق كأنها ... مشاكيل من صبابة النوب نوح

يحققـــن ما حاذرت من صـوف نية　　لمية أمست فى عصـــا البين تقـدح([1])
وبيت بمهــــراة هتكت ســـماءه　　إلى كوكب يزوى له الوجه شـــاربه
بمعقـــودة فى نســـع رحـل تقلقلت　　إلى الماء حتى انقد عنها طحالبـــه
فجـــاءت بسجل طعمه من أجـونـه　　كما شـاب للمورود بالبــول شـــائبه
فجـــاءت بنســـج من صـناع ضعيفه　　ينـوس كأخلاق الشـــفوف ذعاليـــه
هى انتسجته وحـــدها أو تعـاونت　　على نسـجه بين المثـــاب عناكبـــه
هـــرقناه فى بـــادى النشـــيئة داثـر　　تقديم بعهد الناس بقـــع نصـــائبـــه
على ضمــــــرهيم فـــراو وعـائف　　ونـــائل شــئ الشـــــرب قـاضبـــه
ســـحيرًا وآفاق الســـماء كأنهـــا　　بهـــا بقـــر أفتــــاوه وقراهبـــه
ونظنا الأداوى فى الســـواد فيممت　　بنا مصـــدرًا والقرن لم يبد حاجبـــه

- ٣ -

كأنها أم ســـاجى الطرف أحـذرها　　مستودع خمـــر الوعســـاء مرخوم

---

(١) الأدماء : البيضاء .
والأناة : البطيئة القيام .
والهذا ليل : الرمال الرقيقة الصغيرة تصنعها الرياح الأهاصيب : الدفعات من المطر .
العذر : ضفائر الشعر .
الذنوبان : أسفل المتنين .
المجن : الوشاح .
الأوارن : الوحش تمرح فى نشاط .
الأبطح : بطن الوادى .

تنفى الطــوارف عنه دعصنا بقــر ... ويــافــع مــن فـــرندادين ملمـــوم(١)

كأنـــه بالضحى ترمـــى الصعيدية ... دبابـــة فى عظام الرأس خرطـــوم

لا ينعش الطـــرف إلا مـــا تخونه ... داع يناديه باســم المـــاء مبغـــوم

كأنه دملـــج من فضـــة نبــــه ... فى ملعب من عذارى الحى مفصوم

أو مـــزنة فارق يجلـــو غـواريهـــا ... تبوج البـــرق والظلمـــات علجـــوم(٢)

---

(١) المهواه : أعلى البئر .
الكوكب : مخرج الماء .
تقلقلت : اسرعت فى الإنحدار .
الشفوف : الثياب الرقيقة .
الذغالب : ما تمزق من الثوب .
القراهب : المسنة من البقر .
السواد : الليل .
الأداوى : القرب والدلاء وما أشبهها
(٢) أم ساجى الطرق : يعنى الظبية .
الوعساء : رمله .
مرخوم : محبوب .
الطوارف : العيون .
الفرنداد : شجر أو رمال متراكمة .
تبوج البرق : لمعانه .
العلجوم : الشديدة السواد .

التحليـــل

مدرسة شعراء الغزل القصصي

يعد الغزل فن من فنون الشعر العربي ويرتبط بمطلع القصائد ويدور حول ذكريات الشاعر لشبابه ودرياره ويتعرض في الغزل لوصف المرآة فيصف جبينها وخدها وعنقها وصدرها ومعصمها وشعرها كما يصف ثيابها وزينتها وحليها وقد يصف الشاعر مغامرات مع محبوبته على نمط القصص مثل المركشي الأكبر لأسماء .

وقد قسم الأدباء الغزل إلى :

الغزل العذرى – الغزل الحسى – الغزل التمهيدى – الغزل الكيدى .

أما الغزل العذرى فهو الذى يعبر فيه الشاعر عن عواطفه وخواطره النفسية وقد نسب الغزل العذرى إلى بنى عذرة وفى هذه القصائد يتغزل الشاعر بحبيبته فيذكرها بما كان لهما من أشواق ويصور لها عواطفه الجياشة فى أسلوب سلس عذب رقيق أماالغزل الحسى فتمتزج فيه العاطفة بوصف المحبوبة يصف الشاعر عشقه لمحبوبته التى تتصف بجمال البشرة وبياض الجبين واستدارة الجسد وطيب الرائحة ويراد بالغزل التمهيدى الذى لا يشعر فيه المتذوق بحرارة العاطفة فهو غزل يوحى إلى جذب الانتباه وتهيئة الجو النفسى والتمهيد للغرض الأساسى وقد ساد هذا الغزل فى معظم أغراض الشعر الجاهلى .

كما عرف الشعراء الغزل الكيدى الذى يراد منه تحقير الخصم والاستهزاء بكرامته والتشهير به عن طريق التغزل بالمحارم وهذا النوع من الغزل يهدد كيان المجتمع ويعرضه للإنهيار وعلى سبيل المثال فقد جعله كعب بن الأشرف وسيلة لتجريح المسلمين والتندر عليهم حتمًا دفع حياته لهذا السلوك ثم تجددت ملامح الغزل فى العصر الأموى وتعددت ألوانه فقد وجد

شعر الغزل مستقلاً لا ينظم تمهيدًا لغيره فظهرت وحدة الغرض والموضوع فى القصيدة الغزلية وقد ذكر أن الغزل انقسم فى هذا العصر إلى :

الغزل التقليدى(١) :

ينظم الشاعر هذا النوع فى وصف المرأة أو الحنين إليها أو ما يكون لها من أثر فى تأجج عواطفه وهذا النوع ليس جديدًا إنماهو استمرار لمذهب الشعراء القدامى من الجاهليين وشعراء هذا اللون فى هذا العصر كثيرون منهم جرير والفرزدق والأخطل وعبيد الله بن قيس الرقيات وذو الرمة .

الغزل القصص :

ساعدت البيئة الأموية على ظهور هذا الغزل فنظموا شعر هذا الغرض فى إطار قصصى شعرى .

---

(١) تاريخ الأدب فى العصر الأموى أ. د. محمد خفاجى ص٦٨ وما بعدها بتصرف .

التحليـل

عمر بن أبى ربيعة

هو عمر بن عبد الله بن أبــى ربيعــة يكنــى بـأبى الخطـاب وهـو شـاعر قرشى من مكة المكرمة ينتمى إلى أسرة ثرية واسعة الثراء مترفـة تعـرف بأسـرة بنى مخزوم ينتسب لهذه الأسرة هشام بن المغيرة الذى لقب فى الجاهلية بـرب قريش وأخوه الوليد كان من سادات مكة وفيـه نـزل قولـه تعـالى : ﴿ وقـالوا لـولا نزل هذا القرآن على رجل من القرنيين عظيـم ﴾ وكـان لهذيـن الأخويـن أخ ثالث هو أبو ربيعة جد عمر وكان شجاعًا من شجعان قريش وهـؤلاء الأخـوة حكى الرواة عنهم أخبارًا كثيرة وفى الوليد نزلت الآية الكريمة : ذرنى من خلقت وحيدًا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودًا ومهدت له تمهيدًا ثم يطمع أن أزيد .

وقد ذكرت المراجع أن أبا عمر وهو عبد الله كان سيدًا من سادات مكة وكان ثريًا مفرط الثراء ويذكر الرواة أنه تزوج بحبشية جـاء منهـا بولـد سـماه الحارث وتزوج أيضًـا سـبية مـن اليمـن تسـمى مجـدًا وهـى أم عمـر . وبهـذا فالشاعر يمنى الأم قرشى الأب ويقول الرواة إنه ولد فى العـام الـذى قتـل فيـه عمر وهو عام ٢٣هـ ولم يذكر الرواة مسقط رأسه ولكن الأرجح أنه ولـد فـى مكة ولم يكد عمريتجاوز الثانية عشرة من عمره حتى توفـى أبـوه فكلفتـه أمـه وقامت على تربيته وكان لتربيتها أثر عميق فى نفسيته فقد نشـأته كلهـا دلال وتصـادف أن عمر كـان جميـلاً وكـانت أمـه شـاعرة بغربتهـا ووحدتهـا فاشـتد ولعها بابنها فدللته وأغدقت عليه فى العطاء العاطفى والمادى وتصـادف تطور مجتمع مكة فى هذه الحقبة بدافع اختلاط العنـاصر الأجنبيـة بـالعنصر العربى

حيث انتشرت جوارى الفرس والروم فى القصور وشاع الغناء والموسيقى فأصبح الترف سمة هذا العصر الذى عاش فيه عمر بن أبى ربيعة فنعم بما نعم به شباب مجتمعه الأموى وقد ضاعف من ترفه ما تمتع به من ثراء ووسامة وما سمح به المجتمع من اختلاط بين الرجل والمرأة .

وتذكر بعض الروايات أنه توفى فى السبعين من عمره كما تذكر بعض الروايات أن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك نفاه إلى الطائف .

أما عن غزل عمر بن أبى ربيعة فقد تحدث الأدباء والكتاب عن روافده وتتمثل فى :

١ - بيئته العامة وما فيها من الجوارى اللاتى تفنن فى الغناء والموسيقى وما انتشر من اختلاط الرجل بالمرأة ومن الجدير بالذكر أنه رغم وجوده فى هذه الظاهرة إلا أن المجتمع المكى احتفظ بالسمات الأخلاقية الإسلامية حيث التزمت النساء الفضليات بالقيم الرفيعة التى حث عليها الإسلام كالسيدة سكينة بنت الحسين .

٢ - البيئة الخاصة وتتمثل فى التدليل والترف الناتج من الثراء إلى جانب وسامة الشاعر .

٣ - منهج الشاعر الذى يتمثل فى معجمه اللغوى وأسلوبه التعبيرى الذى اتصف بالإطار القصصى الجيد .

كما أشار كتاب الأدب الذين ترجموا لعمر بن أبى ربيعة أن ديوانه يكشف عن خصائصه وما به من ملامح البيئة الاجتماعية المترفة .

والقارئ لهذا الديوان يجد أسماء لبعض النساء منها الرمزى ومنها الحقيقة وأبرزها (هند) التى أكثر من التغنى بها فى شعره وأيضًا هى نفسها نُعم وذات الخال وكما تغنى عمر بامرأة تسمى زينب الجمحية وهى من أهل المدينة حجت مع أخيها قدامة فأعجب بها عمر ولم تلبث أن انعقدت بينهما أسباب الود وقد ذكرت بعض الروايات أن (زينب) هى (هند) وأبرز سمات غزل عمر بن أبى ربيعة أنها يروى قصة العواطف وقد شاع هذا اللون الماجن فى مدن الحجاز ولعل السبب فى ذلك أن خلفاء بنى أمية قد احتجزوا هناك شباب الهاشمين وأغدقوا عليهم الأموال وأغرقوهم بالخيرات الكثيرة وسلطوا عليهم الفراغ والغنى ليصرفوهم عن شئون الخلافة وسياسية الدولة فلما تذوقوا النعم والترف انصرفوا إلى مجالس الغناء وتتبع النساء ومغازلة الحسان وقد اتسم هذا الغزل بالإباحية فى التعبير ومن المعروف أنه استمد بذوره من شعر أمرئ القيس وساعد على تطوره وانتشاره ما سبق ذكره ويتخلص فى :

١ - الفراغ والمال .

٢ - الجمال فى الحجاز وخاصة فى مواسم الحج .

٣ - الرغبة فى الترويح عن النفس .

٤ - كثرة الغناء فى المجتمع الحجازى .

٥ - الحاجة إلى شعر يوافق الغناء والموسيقى .

ومن أشهر شعراء الغزل القصصى عمر بن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومى والأحوص والعرجى .

نماذج من شعر

شعراء الغزل القصصى

قال عمر بن أبى ربيعة

ليت هندًا انجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة   إنما العاجز من لا يستبد
زعموها سألت جارتها   وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتنى تُبصرننى   عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها :   حسن فى كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها   وقديمًا كان فى الناس الحسد
غادة يفتر عن أشنبيها   حين تجلوه أقاح أو برد
ولها عينان فى طرفيهما   حور منها وفى الجيد غيد
طفلة باردة القيظ إذا   معمعان الصيف يتقد
سخنة المشتى لحاف " للفتى   تحت ليل حين يغشاه الصدد
ولقد أذكر إذ قلت لها   ودموعى فود خدى تطرد
قلت : من أنت ؟ فقالت : أنا من   شفه الوجد وأبلاه الكمد
نحن أهل الخيف من أهل منى   مالمقتول قتلناه فود
قلت : أهلاً ! أنتم بغيتنا   فتسمين ؟ فقالت : أنا هند
إنما خُبل قلبى فاحتوى   صعدة فى سابرى ، تطرد

إنمـــا أهـلك جيـــران لنـــا   إنمـا نحـن وهـم شـئ أحـد
حدثـونـى إنهـا لـى نفثـت   عقـــدًا يـا حبـذا تـلك العقـد
كلمـا قلـت : متـى ميعـادنـا   ضحكـت هنـد وقالـت بعدغد!(١)

وقال :

آمن آل نعم(٢)

آمـن آل نعـم أنت غـاد فمبكـر   غـداة غـدأم رائـــح فمهجـر
لحاجـة نفس لـم تقـل فى جوابهـا   فتبلـغ عـــذرًا والمقـالـة تعـذر
تهتـم إلى نعـم فـلا الشـمل جامـع   ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قـرب نُعـم إن دنـت لـك نافـع   ولا نـأيهـا يسـلى ولا أنـت تصـبر
وأخـرى أنـت من دون نعـم ومثلها   نهـى ذا النهـى لو ترعوى أو تفكرُ
إذا ذرت نعمـا لم يزل ذو قـرابـة   لهـــا كلمـــا لاقيتــــه يتنمـــرُ
عزيـــز عليــــه أن ألـــم ببيتهـــا   يسـرلى الشـحناء والبغض مظهـر
ألكنــــى إليهـــا بالســـلام فإنــــه   يشـــهر إلمـــامى بهـــا وينكـــر
بآيـة مـا قـالـــت غـــدة لقيتهـــا   بمدافـع أكنـان : (أهـذا المشـهر؟)
أشـارت بمـدراها وقالـت لأختهـا :   " أهـذا المغيـرى الـذى كان يذكـر
" أهـذا الـذى أطريت نعتـا فلم أكن   وعيشـــك أنســـاه إلـى يـوم أقبـر

---

(١) الديوان ص١٠١
(٢) الديوان ص١٢٠

فقالت : " نعم لا شك غير لونه ... سرى الليل يُحيى نصفه والتهجر
" لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسان قد يتغير
رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشى فيخصر
أخا سفر جواب أرض تقاذفت ... به فلوات فهو أشعث أغبر
قليلاً على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبر
وأعجبها من عيشها ظل غرفة ... وريان ملتف الحدائق أخضر؟
ووال كفاها كل يهمها ... فليست لشئ آخر الليل تسهر
وليلة ذى دوران جشمتنى السرى ... وقد يجشم الهول المحب المغرر
فبت رقيبًا للرفاق على شفا ... أحاذر منهم من يطوف وانظر
إليهم من يستمكن النوم منهم ... ولى مجلس لولا اللبانة أوعر
وباتت قلوصى بالعراء ورحلها ... لطارق ليل أو لمن جاء معور
وبت أناجى النفس (أين خباؤها) ... وكيف لما آتى من الأمر مصدر؟
فدل عليها القلب ريا عرفتها ... لها وهوى النفس الذى كاد يظهر
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ... مصابيح شبت فى العشاء وأنور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ... وروح رُعيان ونوم سمر
ونفضت عنى النوم أقبلت مشية الـ ... ـحباب وركنى خشية القوم أزور
فحييت إذ فاجأتها فتولهت ... وكادت بمخفوض التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتنى ... وأنت أمرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتـك إذهنـا عليـك ألـم تخـف وقت وحولي من عدوك حضّـر
فـوالله مـا أدرى أتعجيـل حاجـة سـرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها : بل قادني الشوق والهوى إليك وما عين من الناس تنظـر
فقالـت وقد لانت وأفـرخ روعهـا كـلاك بحفـظ ربـك المتكبـر
فأنـت أبـا الخطـاب غيـر مدافـع علـى أميـر مـا مكثـت مـؤمـر
فبت قرير العين أعطيت حاجتي أقبـل فـاهـا فـي الخـلاء فأكثـر
فيـالك مـن ليـل تقـاصـر طـولـه ومـا كـان ليـل قبـل ذلـك يقصُـر
ويـالك مـن ملهى هنـاك ومجلس لنـا لـم يكـدره علينـا مكـدر
يمـج ذكـى المسـك منهـا مفلـج رقيق الحواشي ذو غروب موشر
تـراه إذا تفتـر عنـه كأنـه حصـى بـرد أو أقحـوان منـور
وتـرنـو بعينيهـا إلـيّ كمـا رنـا إلى ربرب وسط الخميلة جـؤذر
فلمـا تقضـى الليـل إلا أقلـه وكـادت توالـى نجمـه تشـغور
أشـارت بـأن الحى قد حـان منهـم هبـوب ولكن موعـد لـك عـزور؟
فمـا راعنـي إلا منـادٍ : ترحلـوا : وقد لاح مفتـوق مـن الصبـح أشقر
فلمـا رأت مـن قـد تنبـه منهـم وأيقـاظهـم قالت : " أشر كيف تأمر
فقلـت " أبـاديهـم فإمـا أفـوتهـم وإمـا ينـال السـيف ثـأرًا فيثـأر "
فقالـت " أتحقيقـا لمـا قـال كاشـح علينـا وتصـديقـا لمـا كان يؤثـر "
" فـإن كـان مـالا بـد منـه فغيـره مـن الأمـر أدنـى للخفـاء وأستر "

" أقص علـى أختـى بـدء حـديثنـا ... والـى مــن أن تعلمـــا متـأخــر
" لعلهمـا أن تطلبـا لـك مخـرجـا ... وأن ترحبا صدرًا بما كنت أحصر "
فقـامت كئيبًا ليـس فـى وجههـا دم ... من الحـزن تـدرى عبـرة تتحـدر "
فقـامت إليهـا حـرتـان عليهـا ... كسـاءان من خز " دمِقسـق وأخضر "
فقالـت لأختيها : " أعينا على فتـى ... أتـى زائـرًا والأمـر للمـر يقــدر "
فأقبلنـا فـادنـا عتـائم قالتـا : ... " أقلى عليك اللوم فالخطـب أيسـر "
فقالت لها الصغرى : سأعطيه مِطرفى ... ودرعى وهـذا البرد إن كان يحذر "
" يقـوم فيمشـى بيننـا متنكـرًا ... فـلا سُرنا يفشو ولا هـو يظهـر "
فـكان مجنـى دون مـن كنـت أتقـى ... ثلاث شـخوص : كاعبـان ومعصـر
فلمـا أجـزنا ساحـة الحـى قلن لى : ... " ألـم تتـق الأعـداء والليـل مقمـرُ
وقلـن : " أهـذا دأبـك الدهـر سـادرًا ... أمـا تستحى أم تـرعـوى أم تفكـر "
" إذا جئـت فامنح طرف عينيك غيرنا ... لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر "
فآخر عهـد لى بهـا حيـن أعرضـت ... ولاح لهـا خـد نقـى ومحجـر
سـوى أننـى قـد قلـت يـا نُعـم قولـة ... لهـا والعتــاق الأرجبـان تـزجـر
هنيئـا لأهـل العـامرية نشـرها اللـذ ... يـذ وربـاهـا التـى أتـذكـر
وقمـت إلـى عنـس تخـون فيهـا ... سـرى الليـل حتـى لحمهـا متحسـر
وحبسـى علـى الحـاجات حتى كأنهـا ... بقيـة لــوح أو شـجار مؤسَّـر
ومـاء بمـومـاة قليـل أنيسـه ... بسابس لم يحدث به الصيف محضر

به مبتنى للعنكبوت كأنه   على طرف الأرجاء خام منشر
وردن وما أدرى أما بعد موردى   من الليل ما قد مضى منه أكثر
فقمت إلى مغلاة أرض كأنها   إذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعنى حرصًا على الماء رأسها   ومن دون ما تهوى قلب معور
محاولة للماء لولا زمامها   وجذبى لها كادت مرارًا تكمرً
فلما رأيت الضر منها وأننى   ببلدة أرض ليس فيها معصّر
قصرت لها من جانب الحوض منشأ   جديدًا كقاب الشبر أو هو أصغر
إذا شرعت فيه فليس لملتقى   مشافرها منه قدى الكف مسار
ولا دلو إل القعب كان رشاءه   إلى الماء نسع والأديم المضفر
فساقت وما عافت ومارد شربها   عن الرى مطروق من الماء أكدر

التحليـل

مدرسة شعـراء الخمر

يرتبط الأدب بالظروف العامة للبيئة حيث يعكس بجلاء ما يسـود الأمـة من احـوال اجتماعيـة وثقافيـة وسياسـية ويكشـف عن درجـة تفـاعل الأدبـاء بأحداث المجتمـع ودورهـم الايجـابي فـي تصـويرهـا وطـرح الحلـول المناسـبة للقضـاء علـى مـا ينتـاب المجتمـع مـن فسـاد وانحـراف وبهـذه فدراسـة الحيـاة الاجتماعية لمجتمع ما يكشف أسباب انتشار طبيعة فن مـن الفنـون دون غيـره ففـي عصرنـا الأمـوى عصـر الـترف والـثراء شـاع المجـون واللهـو والغنـاء والموسيقى وقد ساعد على هذا كثرة الجوارى من نبـات الفـرس والـروم فقـد تكونـت فـى الحجـاز تحـت تـأثير الفـراغ طوائـف غنائيـة شـارك فيهـا العـرب والموالى وقد ذكر كتاب الأغانى مـا كـان يـدور فـى مكـة والمدينـة أثنـاء هـذا العصر من استمرار للغناء والأمعان فيه حتـى العبـاد والفقهـاء كـانوا يطلبونـه ويروى أن مالكًا صـاحب المذهـب المعـروف حـاول فـى أول حياتـه أن يكـون مغنيًا واشتهر عطاء وابن جريج من فقهاء مكة باقبالهما على سماع الغناء كما أقبل خلفاء بنى أمية على طلب أهل الغناء وبالغ في ذلك يزيد بن عبـد الملـك فكـان يرسـل فـى طلـب المغنيين والمغنيـات مـن الحجـاز واشـترى مغنيتـن مشهورين إحداهما بأربعة آلاف دينار وهى حبابة والثانية بعشـرين ألفـا وهـى سلامة القس ونشأ ابنه الوليد مثاله فكان يكتظ بالمغنين من مثـل معبـد ويحيـى والهذلى وإذا تأمل الدارس شعر الحجاز والشام لهذا العصر وجد أنه فى أكثره يؤلف لهؤلاء المنغنين فهو شعر غنـائى بـالمعنى الكـامل حيـث يصـور النفـس والوجدان من خلال القصص العاطفية .

ومـن الجديـر بـالذكر أن شـعر عمـر بـن ربيعـة وابــن قيـس الرقيـات والعرجى فى مكة والأحوص فى المدينة والوليد ابن يزيـد فـى دمشـق يعكـس

ظروف المجتمع الأموى وترفه ولهذا فمن يتذوق الشعر الجاهلى بما له من سمات فنية وخصائص أدبية يدرك الفارق بينه وبين صورة الشعر الأموى الذى نبع من إحساس بالحضارة والترف واللهو والمجون والفراغ ولهذا كان شعرهم شعر شباب ينظم للمرأة ومجالس اللهو وعلى سبيل المثال يرى الدارس أن الأحوص يرى ان الحياة خلقت للترف والمجون وقد تحول إلى كل مغنيه فى مجتمعه ليغنى ويشرب معها كما روت المراجع وذكرت عشقه لحبابه وسلامة اللتين أشتراهما يزيد بن عند الملك ويمثل شعر اللهو والمجون والوليد بن يزيد

الوليد بن يزيد شاعر مدرسة الخمر

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك من السلالة الحاكمة التى تولت الحكم منذ مروان بن الحكم إلى آخر عصربنى أمية أمه قيسية من ثقيف فهى بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج نشأ الوليد نشأة مترفة وقد ساعد على ذلك تكوينه النفسى تمتع الوليد بكل مباهج عصره من خمر وغناء وثياب مزركشة فقد شب تحت رعاية أب يغوص فى حياة مترفة ماجنة وهذا ما وصفه أبو حمزة الخارجى فى خطبة له حيث قال عن يزيد (إنه يشرب الخمر ويلبس الحلة قومت بألف دينار حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه حتى إذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه ثم التفت إلى إحدهما فقال : ألا أطير) كما ذكر الإصفهانى أنه كان يستقدم المغنين من الحجاز فيقيمون له الحفلات الغنائية بقصره فى دمشق ويجيزهم حتى لتبلغ الجائزة للمغنى أحيانا ألف دنيار ومن هؤلاء المغنين الذين كان يستقد مهم ابن سريج ومعبد ومالك الطائى وابن عائشة وفى هذه البيئة المترفة الماجنة شب الوليد ولم يكد يتجاوز الحلقة الخامسة عشرة من حيانه وسار على النهج الذى رسمه أبوه ولهذا لم يعرف

الوليد ضراوة الحياة وقسوتها بل غاص فى دنيا الغناء واللهو والخمر وتذكر المراجع عن مظاهر ترفه الكثير وخاصة عن ملابسه .

وقد حاول عمه هشام حين رأه يسير هذه السيرة المعوجة أن يستصلحه فكان ينتهز فرصة زيارته له فينصحه ولكنه كان يصر على طريق المجون واللهو والتهتك واحتد الخلاف بين الوليد وعمه واستمرت آثاره حتى توفى عمه هشام فأمعن فى شرب الخمر ومجالس المجون وأخذ يبحث عن كل الملاهى ومظاهر الترف وبهذا أصبح قصر الخلافة موطنا للخمر والعزف والغناء وأمعن الوليد فى مجونه فصنع لنفسه بركة ملأها خمرا فكان يجلس على حافتها والمغنون يغنونه حتى إذا انتشى نزع ثيابه وقذف بنفسه فيها ثم يخرج منها فيتلقاه غلمانه بالثياب المعطرة وهكذا كانت حياة الوليد للخمر المجون يعيش للخمر ومن أجلها حتى عرف بشاعر الخمر فيقل خمريات الوليد بن يزيد .

نماذج من شعره

قال الوليد فى خمرية :

اصدع نجى الهموم بالطرب	وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش فى غضارته	لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها	فهى عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها	من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها	حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر	وهى لدى المزج سائل الذهب
كأنها فى زجاجها قبس	تذكو ضياء فى عين مرتقب

التحليـــل

ثانياً النثر الفنى

أدبنا العربى أدب رفيع فى شعره ونثره فقد كان أجدادنا أهل بيان وفصاحة لهم جوامع الكلم وروائع الأساليب وقد تحدثنا عن الشعر الذى يعتمد على الإيقاع والموسيقى الخارجية إلى جانب الموسيقى الداخلية أما النثر فهو لون من ألوان الكلام الأدبى لا يحده قيود الوزن والقافية وقد كان للنثر فى العصر الجاهلى دوره الفعال فى المنافرات والمفاخرات والخطب والوصايا والأمثال والنثر وليد العقل والثقافة والفكر أما الشعر فهو وليد الخيال ولهذا فالشعر أسبق من النثر والنثر الفنى منه الكلام المرسل الذى لا تتقيد فقراته بوزن أو قافية ومنه ما يجئ من الكلام المنثور متحدًا فى فواصله فى الوزن دون القافية ويسمى هذا اللون من النثر المزدوج ومنه الكلام المسجوع الذى تتحدد فواصله فى الحرف الأخير .

وقد عرف العصر الجاهلى من فنون النثر الحكم والأمثال وسجع الكهان والمحاورات والخطب والوصايا إذا فالنثر الفنى فى أدبنا وجد قبل القرآن الكريم بقليل وصاحب نزول كتابنا الشريف وتأثر به ثم اتصل المسلمون بعد الفتح الإسلامى بالفرس وبدأت صلات بين الأدب العربى وآداب الفرس وتطور استعمال النثر الفنى للحاجة إليه فى بناء الدولة بعد الفتوحات الإسلامية العظيمة وقد كان كثير من الكتاب الموالى يعرف اللغة الفارسية وبعضهم يعرف الرومية أو اليونانية أو السريانية مما كان له أثر إيجابى فى النثر . وعلى سبيل المثال لا الحصر كان عبد الحميد الكاتب يعرف الفارسية وقد استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها من اللسان الفارسية فحولها إلى اللسان العربى وهو أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية كما أنه هو الذى سهل سبيل البلاغة فى الترسل وعنه أخذ المترسلون وهو

أحد كتاب القرن الثانى الذين فهموا الفصول كما يفهمها علماء البيان من اليونانيين حيث آلت إليه زعامة الكتابة فمهد سبيلها ووضع معالمها ورسم لها رسومًا خاصة فى بدئها وختامها والإطناب فيها مرة والإيجاز أخرى ولهذا قيل بدئت الكتابة بعبد الحميد .

وقد ازدهرت الكتابة فى العصر الأموى حيث انصرف الأمويون عن الفتوحات وأخذوا ينظرون فى كتاب الله ويستمتعون بما فيه من بلاغة وجمال وشرف عبارات كما اهتموا بأحاديث الرسول ﷺ يتعلمون منه بلاغة الكلام وحسن البيان كما ساعد على ازدهار الكتابة فى هذا العصر مجالس العلم والوعظ وتعد الخطابة والرسائل من أعظم ألوان النثر فى العصر الأموى .

أولاً : الخطابة : الخطابة فن من فنون النثر يعتمد على الإقناع والتأثير فهى كلام فصيح يلقى فى جمع من الناس لدعوتهم وإرشادهم للخير والمنهج الصحيح وهى ضرورية للمجتمع فى السلم والحرب لأنها دعوة للإصلاح الاجتماعى والسياسى والدينى ولهذا كانت وسيلة الأنبياء والزعماء وقد استخدم عرب الجاهلية الخطابة فى منافراتهم ومفاخراتهم بالأحساب والأنساب والمآثر والمناقب وتتنوع الخطابة بين السياسية والاجتماعية والدينية وكان للخطابة فى الجاهلية شأن عظيم فنحن نعلم أن العرب كانوا قبائل متنازعة تقتتل لأقل الأسباب فالخطابة لهذا كانت ضرورة من ضرورات المجتمع ولهذا كان للخطيب منزلة عالية ومكانة شريفة تفوق منزلة الشاعر .

شروط الخطيب :

كان العرب يشترطون فى الخطيب أن يكون من السادة فى القوم كريم الخلق حسن السمعة طيب السيرة ويكون جهير الصوت رابط الجأش ثابت الجنان قوى الحجة فصيح اللسان قليل الحركة حسن المظهر .

نهضت الخطابة في العصر الأموى بفعل ظروف البيئة متخذة من البيان النبوى سبيلاً للدعوة من خلال قوة العرض وسلامة العبارة وجزالة الأسلوب ووضوح الفكرة وقرب المأخذ وإصابة الهدف وقد كانت موضوعات الخطابة في هذا العصر كثيرة ومتعددة ونابعة من متطلبات واحتياجات البيئة الحضارية الجديدة كما ساعد على انتشارها تشجيع الخلفاء الذين كانوا يحرصون على تعليم أصولها للناشئين وتدريبهم عليها والدارس لخطابة العصر الأموى يجد أثر النزعة السياسية في خطبهم إلى جانب ظهور النزعة الدينية التي تحذر من الدنيا وغرورها والتخويف من الأخرة وظهرت السمة الدينية في خطبهم على لسان الجماعات التي ترى أن بني أمية لا يصلحون لقيادة الأمة ولا الحكم المسلمين وتتميز خطابة هؤلاء بإلتزام الحمد والصلاة على الرسول ﷺ .

وقد نبغ في هذا العصر كثير من الخطباء منهم : معاوية عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز من الأمويين والحسين بن علي من العلويين وعمران ابن حطان وقطرى بن الفجاء من الخوارج .

الخصائص الأدبية والفنية للخطابة :

لكل لون من الخطابة عبارات وأفكار وصياغة تناسب الموضوع وطبيعة القضية التي من أجلها تعد بقصد الإقناع والنصح والإرشاد وقد بين الكتاب أن أولى مراحل الخطابة :

١ - **الإعداد الجيد** : وقد تجلى أثر الإعداد في خطب عمر وعثمان وقد روى أن عثمان بن عفان صعد المنبر فقال : " إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً " وقد ظلت مرحلة الإعداد طابع الكثير من خطب العصر الأموى فقد قيل لعبد الملك بن مروان :

" عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين " فقال : وكيف لا يعجل علي وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين يعني خطبة الجمعة .

وتظهر آثار الإعداد واضحة بجلاء في خطب الحجاج وزياد بن عبد الملك ومرجع ذلك أن الخطب تحتاج لوحدة الموضوع ووضوح الصورة وسلاسة العرض وقوة الأدلة لإصابة الهدف وسعة الأفق لمناقشة الأراء المطروحة داخل الخطبة بوعي وبصيرة .

الافتتاح : يغلب على الخطب الافتتاح بحمد الله والثناء عليه سبحانه والصلاة والسلام على الرسول الأمين ﷺ وهي سمة من سمات الخطب في صدر الإسلام .

وبعضها مبدوء بالتهديد والوعيد أو بالشعر الذي يتميز بالحدة ويتجلى ذلك في الخطب التي تتسم بالنزعة السياسية إذ غلب عليها التحرر من الرسوم الدينية وكثر الاستشهاد بالشعر وقل الاقتباس من القرآن الكريم وربما بعضهم فترك الحمد في أول الخطبة ويغلب على هذا الخطب الحدة والعنف والمبالغة في التهديد والإسراف في الوعيد .

٣ - **العناصر :** (المقدمة - العرض - الخاتمة)

وتحتوي المقدمة على تمهيد بوضح الغرض منها .

العرض يشمل الأفكار التي من أجلها تم إعداد الخطبة .

الخاتمة : لها أشكالها التي يختم الخطيب بها خطبته .

(أ) الاستغفار .

(ب) الدعاء .

(جـ) آيات من القرآن الكريم .

(د) الشعر الذى يناسب الموضوع .

٤ - **الاقتباس :** اقتبس الخطباء من القرآن الكريم لإثراء خطبهم بشرط وضعها فى مكانها الملائم ويرجع اقتباس الخطباء من القرآن الكريم إلى ما كانوا يتمتعون به من المهارة الفنية وعلو الحس وصدقه حيث وجدوا فى القرآن الكريم شرف البيان وعلو البلاغة وسموها على أن الاقتباس من القرآن الكريم كان الطابع الغلاب فى الخطب الدينية والوعظية ولهذا أطلقوا على خطبة الوعظ أو الدين إذا خلت من القرآن الكريم (شوهاء) .

أما الخطب السياسية فغلب عليها الاستشهاد بالشعر ومن خطب الشيعة قول على رضى الله عنه :

(ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا)

وقول الحسن (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) والبلاغة فى وضع الأيات أن تكون بموضعها فى الخطبة بحيث يحسب الذى لا يحفظ القرآن الكريم أن الكلام كله للخطيب .

وقد تكون الخطبة كلها من القرآن الكريم كخطبة .

مصعب بن الزبير حينما بعثه عبد الله بن الزبير واليًا على البصرة .

حيث استمد من القرآن التى الأيات تعبر عما فى نفسه وتناسب طبيعة الموضوع كما انتشرت فى الخطابة القياس بالأدلة الموضوعية والمنطقية وذلك مثل خطبة الحجاج[١] بعد أن قتل عبد الله بن الزبير وبعد أن رمى

---

(١) أدب السياسية فى العصر الأموى - د. أحمد الحوف صفحات متفرقة بتصرف .

الكعبة سنة ٧٣هـ فجارى مشاعر الناس أول الأمر وحاول أن يستميلهم إلى الإصغاء إليه فأثنى على ابن الزبير ووصفه بأنه من أحبار المسلمين ثم عقب على هذا بأنه طمع فى الخلافة وحارب فى سبيلها وتمرد على ولى الأمر فلم يعد من الأحبار ثم برر الهجوم على مكة والبيت الحرام وقتل ابن الزبير بقوله إن ابن الزبير الثائر المتمرد احتمى بالحرم لكن احتماءه بالحرم لم يحل بين الدولة وعقابه فقد كان آدم فى الجنة ثم عصى ربه الذى خلقه وكرمه وأباح له جنته فأخرجه منها وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمه من الكعبة قال الحجاج) (ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب فى الخلافة ونازع فيها ، وخلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شئ مانع للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة ، لأن الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته ، وأباحه جنته فلما عصا أخرجه منها بخطيئته وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة " .

والدارس يتبين وجه القياس السابق بين ابن الزبير وآدم ومما لا شك فيه أن كثرة الأحزاب السياسية كانت من أبرز عوامل ازدهار الخطابة فى العصر الأموى إلى جانب ذيوع حرية الرأى وكثرة الثورات يضاف لذلك تمتع العرب بالفصاحة والبلاغة وقوة البيان وما كان للخطباء من منزلة جليلة عالية .

نماذج من الخطابة

فى العصر الأموى

- ١ -

خطبة الحسن بن على فى ميله

إلى صلح معاوية

نزل الحسن بن على مدينة ساباط بعد أن سار معاوية بجيوشه نحو العراق واستعد الحسن بأعوانه للقائه ثم مال الحسن إلى الصلح فقال :

" الحمد لله كلما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمدًا رسول الله أرسله بالحق وائتمنه على الوحى صلى الله عليه وعلى آله .

أما بعد :

فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلقه لخلقه وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينه ولا مريدًا له بسوء ولا غائلة ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة ألا وإنى ناظر لكم خيرًا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى ولا تردوا على رأيى غفر الله لى ولكم وأرشدنى وإياكم لما فيه محبته ورضاه إن شاء الله .

- ٢ -

خطبة عبد الله بن الزبير

لما بلغه قتل أخيه مصعب

" الحمد لله الذى له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء .

أما بعد فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه وإن كان معه الأنام طرًا ولم يذل من كان الحق معه وإن كان مفردًا ضعيفًا .

ألا وإنه قد أتانا خبر من العراق ، بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا ، أتانا أن مصعبًا قُتل رحمة الله عليه ومغفرته فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمة عند المصيبة ثم يرعوى من بعد ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر وكريم العزاء .

وأما الذى سرنا منه فإنا قد تعلمنا أن قتله شهادة له وأنه عز وجل جاعل لنا وله فى ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى .

اسلمه الطغام ، الصم الآذان ، أهل العراق ، إسلام النعم المخطمة وباعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه ، فإن يقتل فقد أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين .

إنا والله لا نموت حتف أنافنا ، ولكن قعصًا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف وليس يموت بنو مروان والله ما قتل منهم رجل فى زحف فى جاهلية ولا إسلام قط .

إلا وإنما الدنيا عادية من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فإن تقبل الدنيا علىّ لم آخذها أخذ الأشر البطر وإن تدبر عنى لم أبك عليها بكاء الخرق المهين أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم " .

التحليـــل

نماذج من الرسائل الأموية

- ١ -

من معاوية إلى على

كتب معاوية إلى على :

أما بعد فلو علمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت ولم يجنها بعضنا على بعض و إنا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نرد به ما معنى ونصلح به ما بقى .

وقد كنت سألتك الشام على ألا تلزمنى لك الطاعة وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ولا تخاف من القتال إلا ما أخاف وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد المناف ، وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ويسترق به حر والسلام " .

- ٢ -

من على إلى معاوية

(تنتمى هذه الرسالة إلى رسائل الشيعة)

رد على بن أبى طالب على كتاب معاوية الذى بعثه إليه يطلب استقلاله بالشام والكف عن الحرب بقوله :

" من على بن أبى طالب إلى معاوية بن أبى سفيان" :

أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض ، وأنا وإياك نتلمس منها غاية لم تبلغها بعد.

فأما طلبك منى الشام فإنى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس .

وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست بأمضى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة .

وأما قولك نحن بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق وفى أيدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام .

من الحجاج إلى قطرى بن الفجاءة (أموية)

" بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة "(سلام عليك) الموحد الله والمصلى عليه محمد عليه السلام أما بعد فإنك كنت إعرابيًا بدويًا تستطعم الكسرة ويخف إلى التمرة ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ، ومرقت من سنة رسول الله ﷺ ، فارجع عما أنت عليه بما زين لك وادعنى فقد أن لك " .

من قطرى إلى الحجاج (رسالة من رسائل الخوارج)

كتب الحجاج إلى قطرى يوبخه ويدعوه إلى لطاعة فرد عليه قطرى بقوله:

" بسم الله الرحمن الرحيم من قطرى بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك أنى كنت بدويًا استطعم الكسرة وأبدر إلى التمرة والله لقد قلت زورًا بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه إذا أنت سائح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر .

وذكرت أن الضرورة طالب بى فهلا برز لى من حزبك الشهبع واتكأ فاتدع أما والله لئن أبرز الله لى صفحتك وأظهر لى صلعتك لتتكرن شبعك ولتعلمن أن مقارعة الأبطال ليس كتسطير الأمثال " .

عبد الحميد بن يحيى

هو عبد الحميد بن يحيى مولى فارس لبنى عامر شب بالشام فى أخريات الدولة الأموية كان فى أول أمره معلمًا يتنقل ثم كتب بديوان الرسائل فى عهد هشام بن عبد الملك ثم عرفه مروان بن محمد وكان واليا على الجزيرة وأرمينية فاتخذه كاتبًا له فلما تتولى الخلافة عينه كاتب الدولة ثقة به.

تعلم عبد الحميد علوم القرآن واللغة والشعر والأخبار فتميزت كتابته بدقة العرض وحسن الأسلوب ولهذا قل بدئت الكتابة بعبد الحمد وختمت بابن العميد ويرجع ذلك لبراعة صياغته وجودة معاينه وسلامة لغته وطلاقته التعبيرية ومهارته الفنية ومن أبرع ما كتب رسالته لكتاب منها :

" وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج من صاحبه الذى يثق به فى مهمات أموره أن يكون حليمًا فى موضع الحلم فهيمًا فى موضع الحكم مقدامًا فى موضع الإقدام محجامًا فى موضع الإحجام مؤثرًا للعفاف والعدل والإنصاف كتوما للأسرار وفيا عند الشدائد عالمًا بما يأتى من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق أماكنها قد نظر فى كل فن من فنون العلم فاحلمه فإنه لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهئ لكل وجه هيئته وعادته .

فتنافسوا يا معشر الكتاب فى صنوف الآداب وتفقهوا فى الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا

الخط فإنه حلية كتبكم وأنشدوا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم ولا تضيعوا النظر فى الحساب فإنه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع دينها وسفاف الأمور ومحاقرها فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءات واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات وإياكم والكبر والصلف والغلظة فإنها مجلبة عداوة من غير إحنة ، وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق بأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع إلى حاله ويثوب إليه أمره وإن أققد أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقدم معرفته مليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به اليوم حاجته إليه أحفظ منه على ولده وأخيه فإن عرضت فى الشغل محمدة فلا يضيفها إلا إلى صاحبه وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء وهو لكم أفسد منه لها والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعا ملته لمن يجاوره من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوره من سائس البهيمة التى لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا إلا بقدر ما يصرها إليه صاحبها الراكب عليها .

ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور وأحمل لعبء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته وأن أعقل الرجلين عند ذوى الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن صاحبه أعقل منه وأحمد فى طريقته

وعلـى كل واحـد مـن الفريقيـن أن يعـرف فضـل نعـم الله جـل ثنـاؤه من غير اغترار برأيـه ولا تزكيـة لنفسـه ولا تكـاثر علـى أخيـه أو نظـيره وصـاحبه وعشيره وحمـد اللـه واجب على الجميـع وذلـك بـالتواضع لعظمتـه والتذلل لعزته والتحدث بنعمته تولانـا الله واياكم يـا معشـر الطلبـة والكتـاب بما يتولى به من سبق علمـه بإسـعاده وإرشـاده فـإن ذلـك إليـه وبيـده والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التحليـــل

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

فهرس